

دراسات في تاريخ المدن الأندلسية

(طلياطة - قصر أبي دانس - قلمرية - قورية)

جميع الحقوق محفوظة

الكتاب: دراسات في تاريخ المدن الأندلسية

(طلياطة - قصر أبي دانس - قلمرية - قورية)

المؤلف: أ.د. حسين جبار العلياي

أ.د. جاسم ياسين الدرويش

الطبعة الأولى: ٢٠٢٢

تصميم الغلاف: أمينة صلاح الدين



طباعة - نشر - توزيع

دمشق / جوال: ٩٤٤٦٢٨٥٧٠ - ٠٠٩٦٣

Email: akramaleshi@gmail.com

سلسلة رقم (١٠)

دراسات في تاريخ المدن الأندلسية (طلياطة – قصر أبي دانس – قلمرية – قورية)

أ.د. حسين جبار العليايوي أ.د. جاسم ياسين الدرويش

كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة البصرة – قسم التاريخ

المقدمة

إن أهم ما يميز دراسة المدن الأندلسية عن غيرها هي أن مع كل مدينة قصة تحوي أحداث شيقة تبدأ بالفتح وتنتهي بالسقوط ، وهي في كثير من الأحيان تكسبها خصوصية عن غيرها ، وتشمل أحداثها مختلف نواحي الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية.

ومن هنا جاءت دراستنا لسلسلة من المدن الأندلسية ، وأوصلنا البحث عند مدن غرب الأندلس ومنها مدينة طلياطة ومدينة قصر أبي دانس ومدينة قلمرية ومدينة قورية ، وهؤلاء من ضمن مدن الغرب الأندلسي ، وقد تناولنا في دراسة كل مدينة على محاور ، فسلطنا الضوء في الأول على الجغرافية التاريخية لما للموقع والطبيعة الجغرافية من أثر على الأحداث التاريخية ، ثم تناولنا في المحور الثاني للتاريخ السياسي والإداري والعسكري ، فيما ركز المحور الثالث على سقوط تلك المدن وما رافق ذلك من أحداث مأساوية.

مدينة طلياطة
Tejada الأندلسية

(٩٤ - ٦٤٦ هـ / ٧١٢ - ١٢٤٨ م)

الجغرافية التاريخية لمدينة طلياطة

Tliata

طلياطة مدينة قديمة ، وهذه اللفظة تدل على أنها كانت موجودة قبل الإسلام^(١) ، وقد أشار إلى ذلك مؤلف مجهول بقوله: ((ومدينة طلياطة ، وهي أزلية عجيبة الشكل ، رائقة البناء من بنيان الأشبان^(٢)...))^(٣) ، وتلفظ طلياطة بفتح الأول وسكون الثاني ثم ياء مثناة من تحت وبعد الألف طاء^(٤) ، والنسبة إليها طلياطي^(٥).

(١) يسمى الجغرافيون المدينة التي أنشأها المسلمون بالحدثة، أما التي كانت موجودة قبل الإسلام بالقديمة أو الأزلية.

(٢) عرف ابن عذاري الأشبان بأنهم من عجم رومة، ويهم سميت إشبيلية، فبنوها وسكنوها، أما المقرئ فذكر أن الأشبان نسبة إلى أشبان بن طيطش، وهو أحد ملوك عجم روما، الذي بنى مدينة إشبيلية ، وباسمه سميت الأندلس أشبانية اسماً خالصاً لإشبيلية التي كان يسكنها أشبان هذا، ثم غلب الاسم بعدها على الأندلس كله، ينظر: البيان المغرب، ٢/٢؛ نضح الطيب، ١٣٤/١.

(٣) تاريخ الأندلس، ص ١٣٧.

(٤) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٩٢.

(٥) السيوطي، لب اللباب، ص ١٦٩.

تعد مدينة طلياطة من ضمن إقليم الشرف Aljarafe^(١) التابع لمدينة إشبيلية Sevilla^{(٢)(٣)}، إذ تتبع مدينة إشبيلية العديد من الأقاليم منها الشرف، وقد أشار إلى ذلك البكري بقوله: ((ولإشبيلية من الأقاليم: إقليم المدينة، إقليم ألية، إقليم السهل، إقليم الشعراء، إقليم البصل، إقليم طالقة، إقليم الشرف، إقليم الوادي، إقليم طشانة، إقليم الفحص، إقليم قرطشانة، إقليم المستير))^(٤).

كما أن إقليم الشرف والتي تعد مدينة طلياطة من توابعه يقع على بعد ثلاثة أميال^(٥) غربي إشبيلية، وسمي الشرف لأنه مشرف عليها، وكثيراً ما كان يطلق عليه اسم جيل الشرف، ويمتد أربعين ميلاً في مثلها من الجنوب إلى الشمال^(٦).

وتبعد مدينة طلياطة عن إشبيلية عشرون ميلاً، والمسافة بينها وبين مدينة لبلة Niebla^(٧) أيضاً عشرون ميلاً^(٨)، وهذا ما أشار إليه

(١) ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/٢٠٤.

(٢) مدينة أندلسية بناها يوليوس قيصر، تبعد عن قرطبة ثمانون ميلاً، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٦٠. ٥٨؛ أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ١٧٤. ١٧٥.

(٣) البكري، المسالك والممالك، ٢/٩٠٥.

(٤) المسالك والممالك، ٢/٩٠٥.

(٥) الميل يساوي ٢ كم، ينظر: هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص ٩٨.

(٦) الحميري، الروض المعطار، ص ٥٩؛ طه، دراسات أندلسية، ص ١٣٠.

(٧) مدينة تقع غرب الأندلس، وتعرف بلبلة الحمراء، فيها آثار كثيرة، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٥٠٧ - ٥٠٨.

(٨) الحميري، الروض المعطار، ص ٥٠٧.

العذري عندما تحدث عن الطريق من إشبيلية إلى لبلبة بقوله:
(ومنهما طريق الزقاق والمخلات ، من إشبيلية إلى طلياطة محلة من
عشرين ميلاً ، ومن طلياطة إلى مدينة لبلبة محلة من عشرين
ميلاً)^(١)، وهي اليوم عبارة عن خرائب مهجورة على بعد ٣٠ كم
جنوب غرب إشبيلية^(٢).

وقد خالف ياقوت الحموي في تبعية طلياطة إلى إشبيلية ، إذ عدّ
طلياطة من أعمال أستجة Ecij بقوله: ((طلياطة ناحية بالأندلس من
أعمال أستجة^(٣) قريبة من قرطبة^(٤)...))^(٥).

ونظراً لوقوع إقليم الشرف بما فيه مدينة طلياطة على نهر الوادي
الكبير Rio Guadalquivir ، فقد اشتهر الإقليم بنشاطه الاقتصادي ،
فهو إقليم شريف البقعة ، كريم التربة ، دائم الخضرة ، لا تكاد
الشمس تنفذ فيه لالتفاف أشجاره ، واشتباك غصونها ، وتكثر
أشجار الزيتون في هذا الإقليم ذي التراب الأحمر ، فالسائر فيه لا

(١) ترصيع الأخبار، ص ١١٠.

(٢) خلف، نظم حكم الأمويين، ٥٦٢/٢ هامش رقم (٥).

(٣) مدينة أندلسية تقع بين القبلة والغرب من قرطبة، ينظر: الحميري،
الروض المعطار، ص ٥٣.

(٤) قاعدة الأندلس وأهم مدنها وعاصمتها لحقبة طويلة، وكانت تجبى إليها
كل جهات الأندلس لكونها دار ملكها، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق،
٥٧٤/٢ - ٥٨٠؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٦ - ٢٧؛ الحميري، الروض
المعطار، ص ٤٥٦ - ٤٥٩.

(٥) الأندلس من معجم البلدان، ص ١٩٢.

يمشي إلا في ظل أشجار الزيتون التي تكون المورد الرئيسي لسكانه ، فالزيت الناتج من هذه الأشجار يعد من أفضل الزيوت ، فهو مبارك عند اعتصاره ، لا يتغير له لون ولا طعم مهما طال به الزمن وبعدت به المسافة ، وكانت السفن تنقل هذا الزيت من ميناء إشبيلية على نهر الوادي الكبير إلى معظم موانئ البحر المتوسط وإلى المشرق ، فهو يكوّن عماد تجارة إشبيلية في مختلف العصور ، وإضافة إلى الزيوت توجد هناك أشجار التين ومعظم الفواكه الأخرى التي تجعل من هذا الإقليم مكاناً ممتازاً للاستقرار ، مأهولاً بالسكان ، فقد ذكر الحميري وجود ما يقارب ثمانية آلاف قرية في إقليم الشرف^(١) ، في حين ذكر المقري مائتين وعشرين قرية فقط^(٢) ، وعلى الرغم من المبالغة في الأعداد لاسيما عند الحميري ، إلا أنه يدل على أهمية منطقة الشرف الاقتصادية وكثرة قراه الزراعية.

كما أشار البكري إلى الأهمية الاقتصادية لإقليم الشرف بقوله: ((ويطلّ على إشبيلية جبل الشرف ، وهو شريف البقعة كريم التربة دائم الخضرة فراسخ^(٣) في فراسخ طولاً وعرضاً ، لا تكاد تشمس منه بقعة لالتفاف زيتونه واشتباك غصونه ، ولها كور جليلة ومدن كثيرة وحصون شريفة))^(٤).

(١) الروض المعطار، ص ٣٤٠؛ وينظر: طه، دراسات أندلسية، ص ١٣٠.

(٢) نضح الطيب، ١٥٨/١ - ١٥٩.

(٣) الفرسخ يساوي ٦ كم، ينظر: هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص ٩٤.

(٤) المسالك والممالك، ٩٠٤/٢.

ويوجد في مدينة طليباطة مرسى مهم لوقوعها على نهر الوادي الكبير^(١) ، واشتهرت طليباطة أيضاً بحماماتها وأسواقها وسورها ، وقد أشار مؤلف مجهول إلى ذلك بقوله: ((... ، وبها حمامات عجيبة ، وأسواق حسنة ، وسور حصين))^(٢).

(١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٩٣/٢.

(٢) تاريخ الأندلس، ص ١٣٧.

التاريخ السياسي لمدينة طلياطة

لم ترد في المصادر المتوفرة لدينا إشارة عن كيفية فتح منطقتها ووقت دخول المسلمين إليها ، إلا أن من الراجح أنها فتحت خلال فتح المسلمين لمدينة إشبيلية ، وذلك لأنها من توابعها ، فبعد عبور الوالي موسى بن نصير سنة ٩٣هـ / ٧١١م إلى الأندلس عسكر بجيشه بالقرب من مدينة الجزيرة الخضراء Algeciras^(١) حيث عقد مؤتمراً حريباً مع قواده الذين بحثوا معه خطة سير الحملة العسكرية واتجاهها ، وقرر الجميع أن أفضل الخطط هي الاتجاه صوب منطقة إشبيلية وغربي البلاد التي لم يتم فتحها بعد من قبل طارق بن زياد ، فتقدم موسى نحو مدينة شذونة Media Sidonia^(٢) ، ومنها إلى مدينة قرمونة Carmona^(٣) الحصينة التي لم يفلح في فتحها إلا

-
- (١) تقع في أقصى جنوب الأندلس قرب جبل طارق، وكانت محطة استراحة للمقاتلين المسلمين العابرين من المغرب إلى الأندلس، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٢٢٣؛ أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ١٧٢- ١٧٣.
- (٢) مدينة أندلسية متصلة بمدينة مورون، وهي جبلية القدر، جامعة لخيرات البر والبحر، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٤- ٢٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٣٩.
- (٣) مدينة أندلسية تقع شرقي إشبيلية، وتبعد عنها عشرون ميلاً، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٢٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٦١.

بعد استخدام حيلة حربية محكمة^(١) ، وبعدها سار موسى إلى مدينة إشبيلية ، فضرب عليها الحصار عدة أشهر ، تمكن بعدها من دخول المدينة عنوة حيث هربت حاميتها القوطية إلى مدينة باجة Beja^(٢) ، وهذا ما أشار إليه ابن عذاري بقوله: ((لما فتح موسى قرمونة ، تقدم إلى إشبيلية ، وهي من أعظم قواعد الأندلس شأنًا ، وأتقنها بنيانًا ،... ، فاحتلَّ بها موسى بن نصير ، وحاصرها أشهرًا ، ففتحها الله عليه ، وهرب منها علوجها إلى مدينة باجة))^(٣).
ويبدو أن موسى بن نصير ترك في إشبيلية حامية عسكرية بالتعاون مع السكان المحليين الموجودين في المدينة ، بمهمة الحفاظ على الأمن والدفاع عنها^(٤) ، ثم غادرها إلى مدينة لقنت Alicante^(٥) ومنها إلى مدينة ماردة Merida^(٦) الذي تمكن من دخولها صلحاً سنة ٩٤ هـ / ٧٢١ م^(٧).

-
- (١) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٦.
(٢) مدينة أندلسية قديمة تقع غرب البلاد، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢١؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٧٥.
(٣) البيان المغرب، ١٤/٢.
(٤) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٦؛ المقرئ، نضج الطيب، ٢٩٦/١.
(٥) هناك أكثر من مكان في الأندلس يدعى لقنت، والمقصود هنا مدينة تقع غرب الأندلس من أعمال ماردة، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٤٩؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ١٠٦.
(٦) مدينة أندلسية تقع بجويرة قرطبة منحرفة إلى الغرب قليلاً، وفيها آثار كثيرة، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٥١٨.
(٧) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٦- ١٨.

ولكن الأمور في غرب الأندلس لم تكن تسير كما هو مطلوب بالنسبة إلى موسى بن نصير ، فقد تجمعت فلول القوط الهاربة من إشبيلية وغيرها من المدن المفتوحة في الغرب في مدينتي لبلة وباجة ، واستغلت هذه الفلول انشغال موسى بحصار ماردة ، فهاجمت إشبيلية واستطاعت بمساعدة بعض سكانها أن تقتل ثمانين رجلاً من الحامية الإسلامية وتجير الباقين على الفرار والسيطرة على المدينة^(١) .

وعلى إثر ذلك أرسل القائد موسى بن نصير ابنه عبد العزيز لإعادة فتح المدينة ، وفعلاً تمكن الأخير من فتحها وإعادة السيطرة الإسلامية عليها سنة ٩٤ هـ/٧١٢ م ، وقد أشار ابن عذاري إلى هذه الأحداث بقوله: ((... ، وبلغ الخبر بذلك إلى موسى بن نصير ، فلما استتم فتح ماردة ، بعث ابنه عبد العزيز بجيش إلى إشبيلية ، فافتتحها ، وقتل أهلها ،... ، لما استتم فتح إشبيلية ، تقدم عبد العزيز بن موسى بجيشه إلى لبلة ، فافتتحها ، وانصرف إلى إشبيلية ، فدخلها أيضاً))^(٢) ، وهذا يعني أن موسى لم يفتح لبلة بل تقدم من إشبيلية إلى ماردة ، فلما ثار القوط في إشبيلية أرسل ابنه عبد العزيز ففتحها ثانية ثم تقدم الأخير نحو لبلة ففتحها ، ولما كانت طلياطة على ميلين من إشبيلية وهي بينها وبين لبلة ، لذا فالراجح أن فتح طلياطة كان من قبل عبد العزيز بن موسى سنة ٩٤ هـ/٧١٢ م .

ويبدو أن مدينة طلياطة عاشت هادئة بعيدة عن الأحداث الكبيرة

(١) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٥/٢ .

(٢) البيان المغرب، ١٥/٢؛ ينظر أيضاً: المقرئ، نصح الطبيب، ٢٧١/١ .

التي شهدتها الأندلس في عهد الولاة(٩٥-١٣٨ هـ/٧١٣-٧٥٥م) وبتداية عهد الإمارة(١٣٨-٣١٦ هـ/٧٥٥-٩٢٨ م) ، وليس لدينا معلومات كافية عن القبائل التي سكنتها عند الفتح سواء العربية أم البربرية ، ولكنها ذكرت استقرار بعض القبائل العربية في إقليم الشرف غربي إشبيلية ومن ضمنها مدينة طلياطة التابعة لها ، ومنها سكنى بعض القيسيين في إقليم الشرف ، فقد أشار ابن حزم إلى جماعات من غطفان نزلوا في قرية قرشانة من الشرف^(١) ، كما كان إقليم الشرف موطناً للعديد من رجالات القبائل العربية لاسيما قبيلة غافق ، ومن هؤلاء الوالي عبد الرحمن الغافقي(١١٢-١١٤هـ/٧٣٠-٧٣٢م) ، وقد استمر أعقابه العيش في منطقة مرنيانة أو مرنانة أو مرجانة الغافقيين^(٢) ، كما استقر أفراداً من قبيلة لخم العربية في وقت مبكر في إقليم الشرف غربي إشبيلية^(٣).

وعند دخول أبي الخطار الكلبي^(٤) إلى الأندلس سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م ، رافقته جماعات من قبيلة كلب استقر قسم منهم في

(١) جمهرة أنساب العرب، ص ٢٤٩؛ ينظر أيضاً: طه، دراسات أندلسية، ص ١٤٠.

(٢) مؤنس، فجر الأندلس، ص ٢١٩ - ٢٢٠.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٢٣.

(٤) هو أبو الخطار الحسام بن ضرار بن سلامان الكلبي ولي الأندلس بعد عبد الملك بن قطن، وكانت توليته من قبل والي إفريقية حنظلة بن صفوان الكلبي سنة ١٢٥ هـ/٧٤٢ م ثم قتل في الحرب التي جرت بين القيسية واليمانية في موقعة شقندة سنة ١٣٠ هـ/٧٤٧ م، ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص ١٩٧ - ١٩٨؛ ابن الأبار، النحلة السرياء، ١/ ٦١ - ٦٢.

إشبيلية نفسها^(١) ، وفي منطقة مجاورة في منطقة الشرف تسمى
طلياطة^(٢).

كذلك سكن في إقليم الشرف بعض من بني هوازن وهم من
قبائل حمير^(٣) ، كما أن قبائل يحصب التي يترأسها أبو الصباح
يحيى بن يحيى اليحصبي^(٤) وهو شيخ اليمانية في غرب الأندلس ،
كان مسكنه في قرية موزة في منطقة الشرف بإشبيلية^(٥).

كما شكلت العشائر التي تنتمي إلى حضرموت نسبة كبيرة من
جند حمص في منطقة إشبيلية وأطرافها^(٦) ، ويبدو أن أكثر سكان
منطقة الشرف غربي إشبيلية ومن ضمنها طلياطة كانوا من
حضرموت^(٧).

أما القبائل البربرية التي استقرت في مدينة إشبيلية وتوابعها في
أعقاب الفتح فيبدو عددها قليل إذا ما قورن بالعرب ، ومعظم

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٥٧.

(٢) ابن الأبار، التكملة، ١١٦/١ - ١١٧.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٣٤.

(٤) هو أحد زعماء اليمانية انضم إلى عبد الرحمن الداخل ضد يوسف الفهري
وذلك نكاية بالقيسية، فلما دخل عبد الرحمن قرطبة دعا أتباعه إلى التخلص
منه فلم يجبه أحد، فبلغ عبد الرحمن فأضمرها له، وولاه إشبيلية ثم عزله
ولاطفه حتى استقدمه إلى قرطبة وقتله وذلك سنة ١٤٩ هـ / ٧٦٦ م، ينظر: ابن
القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٥٢؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص
٩٦ - ٩٧؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٩٨.

(٥) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٢١ - ٢٢.

(٦) ابن الأبار، التكملة، ٢٨٣/١.

(٧) طه، دراسات أندلسية، ص ١٤٢.

المصادر المتوفرة تشير إلى استيطان البربر في بعض أطراف إشبيلية وفي أماكن بعيدة عنها ، فقد كان هناك تجمع للبربر في غرب وشمال إشبيلية ، وبشكل خاص في أحواضها الغربية التي تحتل مع أحواز كورة لبله - وهي المنطقة التي تقع فيها مدينة طلياطة - وكان لهؤلاء دور كبير في تأييد القبائل العربية اليمانية في صراعها مع الأمير عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ / ٧٥٥-٧٨٨م) ، واشتهر من زعماء هؤلاء البربر عدي بن موسى الزناتي الذي ثار مع حيوة بن ملامس في إشبيلية بين سنتي (١٥٤-١٥٦ هـ / ٧٧٠-٧٧٢م)^(١) ، ومن بربر زناتة أيضاً ، بنو الليث الذين سكنوا حصن شذفيلة Siete Filla من أقاليم إشبيلية الذي كان يعد معقلاً للبربر^(٢).

ويبدو من انتشار القبائل العربية والبربرية في غربي إشبيلية وفي إقليم الشرف أن قسماً منهم ذهب إلى مدينة طلياطة وسكن فيها ، لاسيما وأنها من مناطق غرب إشبيلية التابعة لإقليم الشرف ، وهذه المنطقة تشتهر بنشاطها الاقتصادي وتربتها الخصبة وكثرة أشجارها لاسيما الزيتون مما يجعلها منطقة جذب للسكن والاستقرار.

من أوائل الأحداث المهمة التي تعرضت لها طلياطة هو هجوم النورمان Normandos^(٣) لها أثناء حملتهم على مدينة إشبيلية سنة

(١) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٠٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٣/٢.

(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٩؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص ١٠٦.

(٣) ويطلق عليهم النورمان أو الاردمانيون، كذلك عرفوا بالفايكنج، وهم سكان الشمال من السويديين والنرويجيين والدنماركيين، الدول الاسكندنافية=

٢٣٠هـ/٨٤٤ م ، ففي يوم الثلاثاء ١٣ محرم هاجم النورمان مدينة طلياطة ليلاً ، وتحصنوا في موضع الفخارين ، فخرج إليهم أهله فقاتلهم قتالاً شديداً^(١) ، ويبدو أن أهالي طلياطة من حي الفخارين لم يتمكنوا النورمان من الحصول على موقع قدم لهم في مدينتهم وتمكنوا من دفعهم مما اضطرهم إلى الخروج نحو إشبيلية.

وقد علق العذري على ذلك بقوله: ((... ، ثم دخلوا إلى طلياطة يوم الثلاثاء ، وهي من مدينة إشبيلية على عشرين ميلاً ، فنزلوها ليلاً ، ونزلوا بالعادة تحت المدينة بموضع يقال له الفخارين فتداعى الناس إليهم وناشبوهم القتال ، ثم مضوا بمراكبهم حتى نزلوا جوفاً من مدينة إشبيلية ...))^(٢).

وفي إشبيلية دخلوا مع المسلمين بمعركة شديدة انتهت بانهزام الأندلسيين واستشهاد الكثير منهم وذلك يوم الأربعاء الرابع عشر من محرم الموافق الأول من أكتوبر ، وقد أشار العذري إلى الأعمال

=وأطلقت عليهم مصادرنا الإسلامية اسم المجوس، وتل إطلاق كلمة المجوس عليهم لأنهم كانوا يشعلون النار في كل مكان يحلون فيه وكانوا يحرقون بها جثث موتاهم، وكانوا يسكنون سواحل تلك البلاد، وهم بحارة مهرة ويمتلكون قوارب سريعة يغيرون فيها على السواحل المكشوفة غير المحصنة، ينظر: العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص ٣٤٨ - ٣٤٩؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص ٢٢٧ - ٢٢٨؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢/٢٦١ - ٢٦٢؛ عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، ص ٢١٨ وما بعدها.

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٨٧؛ السامرائي، الثغر الأعلى، ص ٢٧٢.

(٢) ترصيع الأخبار، ص ٩٩.

الوحشية التي ارتكبتها النورمان بعد دخولهم مدينة إشبيلية بقوله :
((... ، فكان في المسلمين من القتل والسبي ما لا يوصف ، ولم
يرفعوا السيف عن كل ذي روح ظفروا به ، من الرجال والنساء
والصبيان ، والدواب والأنعام والطيور ، وكل ما تناولتهم سيوفهم
وسهامهم ، فدخلوا حاضرة إشبيلية فأقاموا بها بقية يومهم
وليلتهم ،...))^(١).

كما علق ابن حيان على هذه الحادثة بقوله: ((... ، للمجوس -
لعنهم الله-مراكب على مراكب ، وقد ظهروا على مدينة إشبيلية ،
فبقوا فيها سبعة أيام يقتلون الرجال ويسبون النساء والصبيان))^(٢).
وتحدث أيضاً ابن سعيد عن ذلك قائلاً إن النورمان ((حلت
على إشبيلية ، وهي عورة ، فدخلوها واستباحوها سبعة أيام ،...))^(٣).
وعلى إثر ذلك استنفر الأمير عبد الرحمن الثاني - الأوسط -
(٢٠٦-٢٣٨ هـ / ٨٢١-٨٥٢ م) الثغور الأندلسية لمواجهة النورمان ،
وأرسل من وقته جيشاً بقيادة الحاجب عيسى بن شهيد^(٤) الذي كان
على فرق الخيالة ، وأردفه الأمير بجيوش أخرى عهد بقيادتها إلى

(١) ترصيع الأخبار، ص ٩٩

(٢) المقتبس (للقبلة ١٨٠ - ٢٣٢ هـ / ٧٩٦ - ٨٤٦ م)، ص ٤٥٢.

(٣) المغرب في حلى المغرب، ٤٩/١.

(٤) هو من موالى معاوية بن مروان بن الحكم تولى الحجابة على عهد الأمير
عبد الرحمن الثاني وابنه الأمير محمد وبقي فيها حتى فاته سنة ٢٤٣ هـ
/ ٧٥٨ م، ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٤، ٩٤، ٩٥؛ ابن
حيان، المقتبس (للقبلة ٢٣٢ - ٢٦٧ هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠ م)، ص ١٦٦ - ١٦٧.

عبد الله بن المنذر وعبد الواحد بن يزيد الأسكندراني وعبد الرحمن بن كليب بن ثعلبة ، ونزلوا بشرقي إشبيلية^(١). ولما أحس النورمان بهم بدأوا بقتالهم ، وثبت الأندلسيون في مواضعهم حتى تمكنوا من هزيمة النورمان وقتلوا منهم سبعين رجلاً وطاردهم حتى أدخلوهم مراكبهم ، ثم توقف المسلمون عن ملاحقتهم ، وقد أكد العذري ذلك بقوله: ((... ، فثبت المسلمون وقتلوا وصبروا حتى قتل من المشركين سبعين علجاً ، فهزموهم حتى أدخلوهم في مراكبهم ، ثم نكل عنهم المسلمون وأحجموا وتوقفوا))^(٢). ويبدو أن عدم ملاحقة الأندلسيين للنورمان يعود إلى عدم امتلاكهم من المراكب والقوة البحرية الكافية لملاحقتهم ، ومع ذلك فقد أضعوا فرصة كبيرة للقضاء عليهم ، إذ سمحوا لهم بذلك بتجميع فلولهم والاستعداد لجولة ثانية من المواجهات العسكرية ، الأمر الذي أغضب الأمير عبد الرحمن الثاني حينما سمع بذلك ، فاستدعى القواد وجعل على قيادة الجيش محمد بن سعيد بن رستم^(٣) ، الذي توجه بقواته حالاً حتى نزل مدينة إشبيلية^(٤).

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٩٥؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص

٩٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٧/٢.

(٢) ترصيع الأخبار، ص ٩٩.

(٣) محمد بن سعيد بن عبد الرحمن بن رستم مولى الغمريين يزيد بن عبد الملك دخل أبوه الأندلس، وكان محمد بن سعيد مختص بالأمير عبد الرحمن فكان حاجبه وقاد له الجيوش ضد النورمان، ينظر: ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢٧٣/٢.

(٤) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٩٩؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٧٨؛ النويري، نهاية الأرب، ٤٩/٢٢.

بعد ذلك خرج النورمان لمواجهة الأندلسيين ، وحدثت معركة بين الطرفين اضطر فيها النورمان إلى الانسحاب نحو مدينة طلياطة ، قد أشار العذري إلى ذلك بقوله: ((... ، فخرج المجوس-النورمان- إليه فقاتلوه في المدينة فدافعهم فيه يومهم ذلك ،... ، ثم غاداهم بالقتال فلم يقدم المجوس على الخروج إليه ، وانقبضوا عنه حتى نزلوا طلياطة...))^(١).

وبعد نزول النورمان مدينة طلياطة في مراكبهم ، لاحقهم القائد محمد بن رستم بقواته ، وقد وضع الأخير خطة عسكرية تجبر النورمان النزول إلى البر للقضاء عليهم ، بسبب عدم امتلاكه قوة بحرية تتعقبهم ، فشدد محمد بن رستم على رمي سفن النورمان بالمجانيق فأغرق الكثير منها ، وقتل منهم نحو (٥٠٠) رجل^(٢).

وقد أشار العذري إلى ذلك بقوله: ((... ، وانقبضوا عنه حتى نزلوا طلياطة ، فأتبعهم ابن رستم ونزل عليهم ،... ، ونصب عليهم المجانيق ، وقدم عليهم في ذلك اليوم نصر الفتى^(٣) بالمدد من قرطبة ،

(١) ترصيع الأخبار، ص ١٠٠.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٨/٢؛ النويري، نهاية الأرب، ٤٨/٢٢.

(٣) ويدعى نصر الفتى، وهو أبو الفتح بن أبي الشمول كان أبوه نصرانياً فاعتنق الإسلام أيام الأمير الحكم، فخصي الأمير الحكم نصر لجمالته واستخدمه في قصر الإمارة وعلت منزلته عند عبد الرحمن الأوسط لكنه مالأ زوجته طروب على تولية ابنها العهد وحاول أن يسم مولاه الأمير عبد الرحمن ولكن الأخير اكتشف المؤامرة وجرحه السم وكان ذلك سنة ٢٣٦ هـ / ٨٥٠ م، ينظر: ابن حيان، المقتبس (للعقبة ٢٣٢ - ٢٦٧ هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠ م)، ص ٢٥٠ هامش (٤٩)؛ الدرويش، أعلام نساء الأندلس، ص ١٨٦ هامش (٦).

وأنهض الناس لمحاربة الجوس من كل جهة ، فناشبوهم القتال ، وكادت هزيمة المسلمين تستحق ، فترجل محمد بن رستم وترجل الناس معه وأدخل الرجال بين العدو والنهر الأعظم فحالوا بينهم وبين المراكب ، فانهزم الجوس ، قتل منهم نحو من خمسمائة عالج ، وأصيبت لهم أربعة مراكب بما فيها ، فأمر ابن رستم بإحراقها وبيع ما فيها من الفياء ،...))^(١).

بعد ذلك أجبر النورمان على النزول إلى البر ، ودارت عليهم الدائرة عند مدينة طلياطة وذلك في ٢٥ صفر سنة ٢٣٠ هـ/ ٨٤٤م ، وقتل الكثير منهم وأحرق ثلاثون مركباً ، وقد أشار ابن عذارى إلى ذلك بقوله: ((... ، ثم كانت الواقعة عليهم بقربة طلياطة يوم الثلاثاء لخمس بقين من صفر من السنة ، قتل فيها منهم خلق كثير ، وأحرق من مراكبهم ثلاثون مركباً ، وعلق من الجوس بإشبيلية عدد كثير ، ورفع منهم في جذوع النخل التي كانت بها ، وركب سائرهم مراكبهم ، وساروا إلى لبلبة ، ثم توجهوا منها إلى الأشبونة^(٢) ، فانقطع خبرهم))^(٣).

في حين أشار ابن حيان إلى ذلك بقوله: ((... ، وكانت الواقعة العظيمة عليهم ، يوم الثلاثاء لخمس بقين من صفر سنة ثلاثين

(١) ترصيع الأخبار، ص ١٠٠؛ ينظر أيضاً: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٧٨.

(٢) مدينة أندلسية تقع في الغرب على البحر، ينظر: ابن غالب، فرحة الأندلس، ص ٢٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٦١.

(٣) البيان المغرب، ٨٨/٢؛ ينظر أيضاً: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١/ ٢٦٠.

ومائتين بقرية طلياطة ، على مقربة من حاضرة إشبيلية فقتلوا وأفنى الله كثيراً منهم ، وأحرق من مراكبهم ثلاثين مركباً ، وعلق من قتلهم بالأنصاب بإشبيلية عدد كثير ، ورفع منهم آخرون على جذوع النخل))^(١).

وذكر العذري رواية أخرى فيها تفاصيل مختلفة بعض الشيء إذ قال: ((... ، وأحجم الجوس عنه ، ويقوا أياماً بين طلياطة وقبيل (٢) لا يتمكن المسلمون منهم ، حتى خرج الجوس من جهة النهر الذي يلي لبلبة وأمعنوا في الشرف ، وأصابوا سبياً وأمتعة ، ثم أقبلوا ، وعرض لهم المسلمون وعلى الخيل عبدوس بن مقبل ، وأمير الجيش الذي كان في تلك الناحية عبد الله بن كليب بن ثعلبة^(٣) ، وأحجم كل فريق منهم عن صاحبه ، وانصرف كل عن حاميته))^(٤).

وقد شهد عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الثاني (٢٧٥-٣٠٠ هـ/٨٨٨-٩١٢ م) ظهور العديد من التمردات والفتن الداخلية والتي ألقت بظلالها على مدينة طلياطة ، وقد وصف ابن الأثير عهده بقوله: ((وفي أيامه امتلأت الأندلس بالفتن ، وصار في

(١) المقتبس (للحقبه ١٨٠ - ٢٣٢ هـ/ ٧٩٦ - ٨٤٦ م)، ص ٤٥٢.

(٢) مدينة أندلسية تقع بالقرب من طلياطة، وهي تعني القناة باللاتينية ، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٤٥٤ هامش(٦).

(٣) هو اخو عامر بن كليب بن ثعلبة بن عبيد الجذامي قائد الأمير عبد الرحمن الداخل، وقد اشتهر عبد الله بمحاربة بني قسي، ينظر: ابن الأبار، الحلة السيرة، ١/١٦١.

(٤) ترصيع الأخبار، ص ١٠٠.

كل جهة متغلب ، ولم تزل كذلك طول ولايته))^(١).

كما وصف عهده ابن عذاري بقوله: ((وأفضت الخلافة إليه ، وقد تحيفها النكث ، ومزقها الشقاق ، وحل عراها النفاق ، والفتنة مستولية ، والدجنة متكاثفة ، والقلوب مختلفة ، وعصى الجماعة متصدعة ، والباطل قد أعلن ، والشر قد اشتهر ، وقد تمالأ على أهل الإيمان حزب الشيطان ، وصار الناس من ذلك في ظلماء ليل داج ، لا إشراق لصباحه ، ولا أفرول لنجومه ، وتألّب على أهل الإسلام أهل الشرك ومن ضاهاهم من أهل الفتنة ، الذين جردوا سيوفهم على أهل الإسلام ، فصار أهل الإسلام بين قتيل ومحروب ومحصور ، يعيش مجهوداً ، ويموت هزلاً ، قد انقطع الحرث ، وكاد ينقطع النسل ، ففاضل الأمير بجده ، وحمى بجده ، وجاهد عدو الله وعدوه ، وانقطع الجهاد إلى دار الحرب ، وصارت بلاد الإسلام بالأندلس هي الثغر المخوف ، فكان قتال المنافقين وأشباههم أؤكد بالسنة ، وألزم بالضرورة))^(٢).

ويبدو أن التمردات قد استفحلت في معظم بلاد الأندلس ، لاسيما القواعد والمدن الكبيرة ، مثل إشبيلية وجيان Jaen^(٣) ولورقة Lorca^(٤) ومرسية Murcia^(٥) وغيرها ، ولم تكن قاصرة على

(١) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢٠٩.

(٢) البيان المغرب، ١٢١/٢.

(٣) مدينة أندلسية بينها وبين بياضة ستون ميلاً وبينها وبين قرطبة خمسون ميلاً، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص ١٨٣.

(٤) مدينة تقع شرق الأندلس بكورة تدمير شمالي مدينة المريّة، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٥٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥١٢.

(٥) وهي إحدى مدن شرق الأندلس، من كورة تدمير بناها الأمير عبدالرحمن =

زعماء المولدين^(١) فقط ، بل امتدت إلى زعماء القبائل العربية أنفسهم ، إذ رأوا الفرصة سانحة لاستقلالهم وتدعيم سلطانهم ، وظهر أيضاً البربر في الميدان^(٢) ، الذين هاجموا بعض المناطق الأندلسية لاسيما مدينة طلياطة التابعة لإشبيلية سنة ٢٧٦هـ/ ٨٨٩ م وبتحريض من كريب بن عثمان بن خلدون^(٣) ذو الأصل العربي ، إذ حرّض الأخير بربر ماردة^(٤) ومدلين Madelin^(٥) على مهاجمة إشبيلية ومناطقها لكثرة خيراتها ، إذ هاجم البربر مدينة طلياطة ، فقتلوا كل من وجدوه واستباحوا المدينة وأهلها ، ولم يتمكن والي إشبيلية موسى بن أبي العاصي^(٦) من صدّهم ، وقد أشار ابن حيان

-
- =الثاني واتخذها داراً للعمال، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٥٣٩.
- (١) المولدون هم أولاد الذين نشأوا على الإسلام من الأسيان، مؤنس، فجر الأندلس، ص ٤٦٠ - ٤٦١.
- (٢) عنان، دولة الإسلام في الأندلس ٣١٩/١؛ الصوفي، تاريخ العرب في أسبانيا، ص ٤٤.
- (٣) كريب بن عثمان بن خلدون من بيت بني خلدون من العرب الحضارمة في الأندلس وهو أول من رفع نواء الثورة في إشبيلية أيام الأمير عبد الله وتحالف مع البربر وعبد الرحمن الجليقي صاحب بطليوس وملك إشبيلية وقرمونة واستمر حتى تمكن بني الحجاج من مقتله سنة ٢٨٢ هـ/ ٨٩٥ م، ينظر: ابن الأبار، الحلة السيرة، ٣٧٦/٢ - ٣٧٧؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣٣٢/١.
- (٤) مدينة تقع غرب الأندلس، وتبعد عن بطليوس عشرين ميلاً، ولها حصون عدة، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢١؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥١٨.
- (٥) مدينة تقع غرب الأندلس بالقرب من ماردة، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٠/٢.
- (٦) لم نجد له ترجمة.

إلى هذه الأحداث بقوله: ((... ، ودسّ كريب بن عثمان إلى بربر ماردة ومدلين يستدعيانهم للغارة على كورة إشبيلية ، ويشهيانهم بكثرة غنائمها ، وقلة المدافعين عنها ، يريدان بذلك تشتيت أمر السلطان وتبغيضه إلى رعيته ، فاحتشد البربر مطلين إليها ووقع الخبر إلى موسى بن أبي العاص فاستنفر جميع الناس من أهل الكورة وأخرجهم مع نفسه وعمل على ملاقة البربر بقرية طلياطة ، وسار فوجد البربر قد سبقوه إلى القرية فقتلوا كل من وجدوه فيها واستباحوا أموالهم وسبوا ذراريهم ، فنزل موسى بجمعه إزائهم على كدية تدعى جبل الزيتون على ثلاثة أميال منهم ، بات فيهم وتعب الفريقان وتواعدوا الصباح ، فراسل كريب بن عثمان في تلك الليلة البرابر يعدهم أنه إذا إلتحمت الحرب سوف يفر بمن معه ويجر الهزيمة على موسى وأصحابه ، فلما أصبحوا وقامت الحرب على ساق وتكافأ الفريقان انهزم كريب بمن معه ، فانهزم الناس جميعاً ، ومضى البربر في آثارهم إلى أن بلغوا قرية بيرة من إقليم البر ، فتحصن فيها العامل موسى وبقي البربر بموقع محللتهم من قرية طلياطة ثلاثة أيام يشنون الغارات في جميع جهات الكورة ولا أحد يعترضهم حتى ملئوا أيديهم بالغنائم فرجعوا صادرين عن إشبيلية مملوءة حقائبهم ، وقد أفقدوا خلقاً كثيراً من أهلها...))^(١).

(١) المقتبس (للحقبه ٢٧٥ - ٣٠٠هـ/ ٨٨٨ - ٩١٢ م)، ص ٩٢ - ٩٣؛ ينظر أيضاً: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص ٢٧٠؛ حسين، ثورات البربر، ص ٦٦ - ٦٨.

وعلى إثر ذلك عزل الأمير عبد الله بن محمد والي إشبيلية موسى بن أبي العاصي وولى مكانه حسن بن محمد الموري ، ولكن الأوضاع لم تهدأ إلا بعد أن تمكن إبراهيم بن الحجاج^(١) من التخلص من كريب بن عثمان والانفراد بحكم إشبيلية^(٢) ، وبذلك أصبحت مدينة طلياطة ضمن نفوذ بني الحجاج في إشبيلية.

وفي بداية عهد الأمير عبد الرحمن الثالث (٣٠٠-٣٥٠ هـ/٩١٢-٩٦١ م) ، تجددت التمردات الداخلية في مدينة إشبيلية وأقاليمها لاسيما إقليم الشرف والتي تعد مدينة طلياطة تابعة له ، وذلك بعد وفاة عبد الرحمن بن إبراهيم بن الحجاج الذي تولى إشبيلية بعد وفاة والده سنة ٢٨٨ هـ/٩٠٠ م ، وعلى إثر ذلك جهز الأمير حملة عسكرية سنة ٣٠١ هـ/٩١٣ م أوكلت قيادتها إلى محمد بن إبراهيم بن الحجاج صاحب مدينة قرمونة وقاسم بن الوليد صاحب الشرطة ، وتمكنت من السيطرة على إشبيلية وأقاليمها بما فيها مدينة طلياطة ، وقد أشار ابن عذاري إلى ذلك بقوله: ((افتتح الناصر لدين الله إشبيلية سنة ٣٠١ ، وكان سبب ذلك موت عبد الرحمن بن إبراهيم بن حجاج المنتزي فيها بعد والده ، واجتماع أهلها من بعده على

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن حجاج بن عمير بن حبيب اللخمي ملك إشبيلية حتى سنة ٢٨٨ هـ/، ينظر: ابن الأبار، الحلة السراء، ٣٧٦/٢ - ٣٧٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٢٤/٢ - ١٢٩.

(٢) ينظر التفاصيل: ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ/٨٨٨ - ٩١٢ م)، ص ٩١ - ١٠٨.

تقديم أحمد بن مسلمة...، فبعث الناصر عسكرياً إلى إشبيلية، فجرت بينهم حروب عظيمة، ثم بعث الأمير عبد الرحمن الناصر إلى محمد بن إبراهيم بن حجاج، وأمره بالتضيق على أهل إشبيلية، وعقد له على ذلك، وأشرك معه فيه قاسم بن الوليد صاحب شرطته في ذلك الوقت، وكان بينه وبين محمد صداقة، فخرجا معا من قرطبة إلى قرمونة، ومنها دنوا إلى إشبيلية، فتردد محمد وقاسم بالجموع على إشبيلية، وملكا أقاليم الشرف، وأقاليم طالقة، وإقليم البر وغيرها، وأخذوا بمخنق ابن مسلمة صاحب إشبيلية، فاستجاش ابن مسلمة برأس النفاق اللعين ابن حفصون^(١)، فأناه بنفسه، وخرج معه من مدينة إشبيلية، وجاز النهر، وكان الجيش يحصن قبرة^(٢)، وفيه محمد بن إبراهيم بن حجاج، وقاسم بن وليد، فخرجا إليهما بمن

(١) هو عمر بن حفص المعروف بحفصون، بن عمر بن جعفر بن شتيم بن ذيبان بن فرغلوش بن أذفونش، من مسلمة الذمة، من كورة تاكرنا من عمل رندة، وكان الذي أسلم منهم جعفر بن شتيم، ففشا نسله في الإسلام، كان له من الولد الذكور عمرو وعبد الرحمن، فولد عمر بن جعفر حفصاً، وولد حفص (حفصون) هذا عمر الثائر على الأمير محمد أولاً، يحصن بريشتر وهي أمتع قلاع الأندلس قاطبة، واتصلت أيامه في ظهور وعزة حتى قضى عليه الأمير عبد الرحمن الثالث سنة ٣٠٥ هـ/٩١٧ م، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ١٠٦/٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤٠٦/٢؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٣٢/٢-٤٥؛ ابن خلدون، العبر، ١٧٢/٤-١٧٤.

(٢) مدينة أندلسية بينها وبين قرطبة ثلاثون ميلاً، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٤٥٣.

معهما من حشم السلطان ، فانهزم ابن حفصون ، وفر على وجهه ، حتى لحق بقلعته^(١).

وكان لقوة الدولة الإسلامية في الأندلس في عهود الخليفة الناصر (٣٥٠-٣٥٠ هـ/٩١٢-٩٦١م) والخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦ هـ/٩٧٦-١٠٠١م) ثم ابنه عبد الملك المظفر (٣٩٢-٣٩٩ هـ/١٠٠١-١٠٠٨م) أثر كبير في استقرار أوضاعها الداخلية ، ولكن بعد سقوط الدولة العامرية وظهور في الأندلس ما يسمى بالفتنة^(٢) في بداية القرن الخامس الهجري/الحدادي عشر الميلادي وما تلاها من سقوط الخلافة الأموية سنة ٤٢٢ هـ/١٠٣٠م بدأ عصر جديد في الأندلس أطلق عليه المؤرخون عصر دويلات الطوائف Taifas, Los (٤٢٢-٤٨٤ هـ/١٠٣٠-١٠٩١م) وأحسن وصف لهذا جاء على لسان ابن الخطيب إذ قال: ((نقول وبالله الاستعانة ومنه الحول والقوة ذهب أهل الأندلس من الانشقاق ، والانشعاب ، والافتراق إلى حيث لم يذهب كثير من أهل الأقطار ، مع امتيازها بالحلل القريب والخطة المجاورة لعباد الصليب ، ليس لأحدهم في الخلافة إرث ، ولا في

(١) البيان المغرب، ١٢٩/٢ - ١٣٠-؛ ولزيد من التفاصيل ينظر: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص ٢٨١- ٢٨٢.

(٢) يقصد بالفتنة هي المدة التي تلت سقوط الدولة العامرية سنة ٣٩٩ هـ/١٠٠٨م حتى نهاية الخلافة الأموية في الأندلس سنة ٤٢٢ هـ/١٠٣٠م، ينظر: العذري، ترصيع الأخبان، ص ١٦؛ المراكشي، المعجب، ص ٧١؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ١/١٥٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٥٣.

الإمارة سبب ، ولا في الفروسية نسب ، ولا في شروط الإمامة مكتسب ، اقتطعوا الأقطار واقتسموا المدائن الكبار ، وجبوا العمالات والأمصار ، وجندوا الجنود ، وقدموا الفضاة ، وانتحلوا الألقاب ، وكتبت عنهم الكتاب الأعلام ، وأنشدهم الشعراء ، ودونت بأسمائهم الدواوين ، وشهدت بوجوب حقهم الشهود ، ووقفت بأبوابهم العلماء ، وتوسلت إليهم الفضلاء ، وهم ما بين محبوب ، وبربري مجلوب ، ومجنند غير محبوب ، وغفل ليس في السراة بمحسوب ، ما منهم من يرضى أن يسمى ثائراً ، ولا لحرب الحق مغائراً ، وقضارى أحدهم يقول: أقيم على ما بيدي ، حتى يتعين من يستحق الخروج به إليه ، ولو جاءه عمر بن عبد العزيز لم يقبل عليه ، ولا لقي خيراً لديه ، ولكنهم استوفوا في ذلك أجالا وأعماراً ، وخلفوا آثاراً ، وإن كانوا لم يبالوا اغترارا ، من معتمد ، ومعتضد ، ومرتضى ، وموفق ومستكفي ، ومستظهر ، ومستعين ، ومنصور ، وناصر ، ومتوكل^(١).

وهكذا انقسمت الأندلس إلى دويلات ، وأشار مؤلف مجهول إلى أن مدينة طليباطة من نصيب خيران العامري^(٢) بقوله: ((ثار بالمرية^(٣)

(١) أعمال الأعلام، ١٣٩/٢ - ١٤٠.

(٢) خيران العامري من موالي المنصور بن أبي عامر حكم المرية ومناطق من شرق الأندلس ووسطها أيام الفتنة (٤٠٥ - ٤١٩ هـ / ١٠١٤ - ١٠٢٨ م)، ينظر: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ١٩٤/٢؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٠١/٢.

(٣) مدينة أندلسية على البحر المتوسط بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٥٣٧.

سنة ٤٥ هـ ، فملكها أربعة عشر سنة وأربعة أشهر ، وملك وادي آش^(١) وجيان وبياسة Daeza^(٢) ، وشوذر^(٣) وبسطة^(٤) وأرجونة^(٥) وباجة وطلايطة وشتنجيلة^(٦) ، ولم يكن في الثوار أوسع عملاً منه^(٧) ، ونحن نستبعد أن يكون خيران العامري وصل إلى باجة وطلايطة ، وذلك لأن نفوذه امتد من شرق الأندلس حتى جيان وبياسة^(٨) ، أما مناطق غرب الأندلس فقد تقاسمتها قوى أخرى. إذ ظهر بني عباد اللخمين^(٩) في إشبيلية بقيادة القاضي محمد

-
- (١) مدينة بالأندلس قريبة من غرناطة لها بابان، شرقي على النهر، وغربي على خندق، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٦٠٤.
- (٢) مدينة أندلسية من أعمال جيان، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٥؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٩٤.
- (٣) مدينة أندلسية من أعمال كورة جيان مشهورة بكثرة المياه والبساتين، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٣٥١.
- (٤) مدينة أندلسية قديمة، تعد من أعمال كورة جيان إذ المسافة بينهما ثلاثة مراحل، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٩٨/٢؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٥.
- (٥) مدينة بالأندلس من أعمال كورة جيان ينسب إليها محمد بن يوسف بن الأحمر من سلاطين غرناطة، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٢٦.
- (٦) وتلفظ أيضاً شنتجالة وهي من مدن شرق الأندلس في طرف كورة تدمير مما يلي الجوف، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٧.
- (٧) تاريخ الأندلس، ص ٢٥٢.
- (٨) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١٦٣/٢.
- (٩) بنو عباد من بني لخم عطاف بن نعيم اللخمي إلى الأندلس وتمكنوا في أيام الطوائف من إقامة دولة لهم امتدت من سنة ٤١٤ هـ/ ١٠٢٣ م حتى سقوطها بيد المرابطين سنة ٤٨٤ هـ/ ١٠٩١ م، ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٤٧/٢ - ١٦٦؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٢٢٢ - ٢٢٦.

بن إسماعيل بن عباد واستقلالهم بها وتشكيل دولة لهم فيها استمرت نحواً من ستين عاماً (٤١٤-٤٨٤ هـ/١٠٢٣-١٠٩١م)^(١) وأصبحت طلياطة تحت حكم بني عباد طيلة تلك المدة إذ كانت من أولى المناطق التي ضمها بني عباد إلى ممتلكاتهم عندما استولوا على غرب الأندلس حتى شلب Slives^(٢) ولبلة^(٣).

وبعد عبور المرابطين^(٤) Almoravides, Los إلى الأندلس سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٠م وهو العبور الثالث تمكنوا من السيطرة على العديد من المدن الأندلسية^(٥)، كما استطاعوا من إحكام سيطرتهم على مدينة إشبيلية بما فيها مدينة طلياطة وذلك سنة ٤٨٤ هـ/١٠٩١م^(٦)، وبذلك

(١) ابن حزم، جهمرة أنساب العرب، ص ٤٢٤؛ ابن الأبار، الرحلة السائرة، ٣٤/٢ - ٣٥؛ ابن خلدون، العبر، ٣٣٧/٤؛ طه، دراسات أندلسية، ص ١٤٣.
(٢) مدينة تقع في غرب الأندلس، وهي بقلي مدينة باجة، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٢.

(٣) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٥١/٢.

(٤) يرجع تأسيس الدولة المرابطية إلى قبيلة لمتونة، إحدى بطون صنهاجة من البرانس، وقد قامت الدعوة المرابطية سنة ٤٤٨ هـ/١٠٥٦ م على أساس العقيدة الدينية الإسلامية على يد عبد الله بن ياسين الجزولي، وقد تزعمت قبيلته لمتونة الجهاد لهذه الدعوة في بلاد المغرب أولاً ثم الأندلس بعد ذلك، ينظر: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢٩١ - ٣١٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٧/٤ - ١١؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٢٢ - ١٢٧.

(٥) للمزيد من التفاصيل ينظر: ابن بلقين، التبيان، ص ١٦٩ - وما بعدها؛ المراكشي، المعجب، ص ٩٨ - ١٠٠.

(٦) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص ٢١ - ٢٢؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣١٢ وما بعدها.

أصبحت خاضعة لنفوذ المرابطين ، وكانت في ظل الحكم المرابطي بعيدة عن الأحداث الساخنة التي تركزت وقتذاك في الثغرين الأعلى والأوسط من الأندلس.

لم تستمر مدينة طلياطة طويلاً تحت الحكم المرابطي ، إذ سرعان ما خرجت عن طاعتهم سنة ٥٣٩ هـ/ ١١٤٤ م بعد ظهور الدعوة الموحدية Almohades, Los^(١) في أواخر عهدهم بالأندلس ، وقد أشار ابن عذاري إلى ذلك بقوله: ((وفي هذه السنة ظهرت في الأندلس دعوة الموحدين ، فأول من قام بدعوتهم بها أهل مارتلة^(٢) في السابع عشر من ربيع الأول ، ثم خالفت بعد ذلك طلياطة ، على المرابطين ودخلت في دعوة الموحدين))^(٣).

وبعد ذلك تمكن الجيش الموحدى تعاونه الجيوش الأندلسية التي خضعت للموحدين من الاستيلاء على مدينة طلياطة وحصن القصر

(١) قامت دولة الموحدين على إثر حركة دينية ظهرت في بلاد المغرب تزعمها محمد بن عبد الله بن تومرت الملقب بالمهدي الذي ينتمي إلى قبيلة مصمودة البربرية، وسعى الموحدون إلى إنهاء حكم المرابطين في المغرب والأندلس، وفعلاً تمكنوا من ذلك إذ دخلوا عاصمتهم مراكش سنة ٥٤١ هـ/ ١١٤٦ م وأحكموا سيطرتهم عليها ثم عبروا إلى الأندلس، لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٢٠ وما بعدها؛ المراكشي، المعجب، ص ١٤٣ - ١٤٩؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٧٢ وما بعدها.

(٢) مدينة تقع غرب الأندلس على نهر بطليوس، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٥٢١.

(٣) البيان المغرب، ١٠٥/٤.

قلعتي إشبيلية من جهة الغرب اللتين قدمتا الطاعة لهم دون قتال سنة ٥٤١ هـ/١١٤٦م^(١)، ثم ضرب الجيش الموحدى الحصار حول مدينة إشبيلية وسقطت بأيديهم في السنة نفسها^(٢)، وقد علق ابن عذاري على ذلك بقوله: ((...))، ومشى الجميع بعد ما أطاع أهل طلياطة وحصن القصر، ووصل الجميع إلى إشبيلية فحصرها براً وبحراً ففتحها الله تعالى))^(٣)، وعلى هذا يعد أهالي طلياطة في مقدمة الأندلسيين الذين ناصروا الدولة الموحدية وقاتلوا تحت لوائها ضد المرابطين.

وبعد سيطرة الموحدين على مدينة إشبيلية أوكلت مهمة إدارتها إلى أخوي المهدي بن تومرت^(٤) عبد العزيز وعيسى، وعلى ما يبدو كانت معاملتهم سيئة لأهالي إشبيلية، الأمر الذي دعا أهالي بعض مدن إشبيلية للخروج عن طاعة الموحدين ومنهم أهالي مدينة طلياطة وكان ذلك سنة ٥٤٣ هـ/١١٤٨م، وعندما علم الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن علي (٥٢٤-٥٥٨ هـ/١١٢٩-١١٦٢م) بتلك الأوضاع بادى على الحال بإرسال قوات عسكرية لإخضاع المناطق المتمردة وإرجاعها إلى

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٥؛ وينظر أيضاً: علام، الدولة الموحدية بالمغرب، ص ١٨٢.

(٢) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٦٢-٣٦٣.

(٣) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٥.

(٤) محمد بن تومرت من أهل السوس ومن قبيلة هرغة البربرية، رحل لطلب العلم بالمشرق ثم عاد إلى المغرب وأسس دولة الموحدين وتسمى بالمهدي والمعصوم، وخاض العديد من المعارك ضد المرابطين حتى وفاته سنة ٥٢٤ هـ/١١٢٩م، ينظر: البيهقي، أخبار المهدي بن تومرت، ص ١٤٢؛ المراكشي، المعجب، ص ١٢٦-١٣٧.

الطاعة ، وقد أشار ابن عذارى إلى ذلك بقوله: ((وذلك أنه لما رفع إلى عبد المؤمن ما فعل عبد العزيز وعيسى أخوا المهدي بإشبيلية من استطالة أيديهما على أهلها وعلى الأندلسيين المجاورين لها ، وظهر من أخوي المهدي بإشبيلية مذهب في قتل الناس وإباحة الدماء ، وأخذ الأموال واتصال الاعتداء ، ثم تغيرا على البطروجي^(١) صاحب لبلنة وعزما على الإيقاع به ، ففهم ذلك منهما ، ففر بنفسه عنهما ،... ، ووجه في الحين إلى طلياطة وحصن القصر من ثقفهما وملكهما ، وأعلن نفاقه ،... ، فبعث عبد المؤمن والياً على إشبيلية أبا يعقوب يوسف بن سليمان بعسكر من الموحدى ،... ، وخرج أبو يعقوب بن سليمان المذكور إلى لبلنة ، ففر البطروجي من الغرب وجهة شلب ، فعسكر الموحدون ومن تبعهم من الرؤساء الأندلسيين في فصل الشتاء والبرد ، فدوخ نظر يوسف البطروجي بطلياطة ونظرها ،... ، وتمادى غزو الموحدى تلك الجهة حتى أنكروا بلاد العدو غرب الأندلس ، وألزمهم عظيم الحرب والكره ،... ، ووصلوا إشبيلية موفورين منصورين))^(٢).

وفي عهد الخليفة الموحدى أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨-٥٨٠ هـ/ ١١٦٢ - ١١٨٤ م) تعرضت مدينة طلياطة لهجوم من

(١) هو يوسف بن أحمد البطروجى احد الثوار فى غرب الأندلس فى نهاية المرابطين وكان قد ملك لبلنة وحارب جيوش المرابطين واستولى عليها، ينظر: ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢٠٤/٢ - ٢٠٦؛ ابن سعيد، المغرب فى حلى المغرب، ١/١١٩؛ ابن خلدون، العبر، ٦/٣١٢.

(٢) البيان المغرب، قسم الموحدى، ص ٣٨ - ٤٠؛ ينظر أيضاً: عنان، دولة الإسلام فى الأندلس، ٣/٣٢٨ - ٣٢٩.

قبل نصارى مدينة شنترين Santarem^(١) وذلك سنة ٥٦١هـ/١١٦٥م الأمر الذي دعا والي إشبيلية الشيخ أبي عبد الله بن إبراهيم بن إسماعيل لردعهم ، فجهز حملة عسكرية مكونة من الحفاظ والعرب وجند إشبيلية أولى قيادتها إلى أبي العلاء بن عزون^(٢) ، وتمكنت القوات الموحدية من هزيمتهم واستنقذت منهم الغنائم والأسرى ، كما تم أس العديد منهم ، وعلى إثر ذلك الانتصار فقد بعث والي مدينة إشبيلية بـخبر هذه الموقعة إلى الخليفة الموحد أبي يعقوب فسر بذلك ، وبعث إليه يشكره ، وقد أشار ابن أبي صاحب الصلاة إلى ذلك بقوله: ((... ، وضربت جملة ذميمة من نصارى شنترين -أعادها الله- على نظر طلياطة جهز في اتباعهم الحفاظ الواصلين معه وأبا العلاء بن عزون في جند إشبيلية وجملة من العرب الواصلين معه فأدركوهم ، وأنقذوا الغنائم منهم وهزموهم وغزوهم واستاقوا من سلبهم مائة فرس وجملة أعلاج ، وعرف الأمير بهذا الفتح فشكر اجتهاده وجهاده))^(٣).

وفي عهد الخليفة الموحد العادل (٦٢١-٦٢٤هـ/١٢٢٤-١٢٢٦م) ، تعرض إقليم الشرف بما فيه مدينة طلياطة لهجوم من قبل نصارى

(١) مدينة تقع غرب الأندلس متصلة بأعمال كورة باجة، وهي على نهر تاجة،

ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٦.

(٢) أبو العلاء بن عزون والي مدينة شريش في بداية العهد الموحد، ينظر:

عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣/٣٧٤.

(٣) تاريخ المن بالإمامة، ص ٣٠٤ ينظر أيضاً: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣/٢٠.

ليون^(١) يقودهم مارتن سانشيز وهو ابن غير شرعي للملك البرتغال Portugal^(٢) سانشو الثاني (٦٢٠-٦٤٦هـ/١٢٢٣-١٢٤٨م)، ودخل في خدمة ملك ليون Leon، وقد عبرت قواته جبال الشارات، وسارت جنوباً حتى وصلت إلى أراضي الشرف، واستولت على الكثير من الغنائم والسبي، وقد وجد الخليفة العادل أخوه أبو العلا ووزيره ابن يوجان^(٣) عاجزين عن مواجهة النصارى، وحماية مدينتهم، لذا استنفر الخليفة العادل الناس، واحتشدت جموعهم، إذ اجتمع من الفرسان نحو مائة فارس، وسارت هذه الجموع إلى غربي إشبيلية لمواجهة النصارى على مقربة من مدينة طلياطة سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م، وعند وصولهم انقض عليهم النصارى، وقتلوا وأسروا الكثير منهم، إذ قدر من قتل من المسلمين في هذه الموقعة بعدة آلاف، وعرفت هذه المعركة باسم موقعة طلياطة^(٤).

وقد فصل الحميري عن هذه الموقعة بقوله: ((وفي جمادى الأولى من سنة اثنتين وعشرين وستمائة كانت الوقعة على أهل اشبيلية

(١) تقع مملكة ليون في شبه الجزيرة الأيبيرية، يحدها من الشمال اشتوريس ومن الشرق والجنوب الشرقي قشتالة القديمة ومن الجنوب الاستزامادور، ومن الغرب جليقية وبلاد البرنغال، ينظر: أرسلان، الحلل السنديسية، ١/٣٢٠.

(٢) تقع مملكة البرتغال غرب شبه الجزيرة الأيبيرية على مصب نهر آنه على المحيط الأطلسي، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢/٧٢٥، ٧٣١.

(٣) هو أبو زيد عبد الرحمن بن موسى بن يوجان الهنتاني وزير الخليفة العادل الموحد، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ١٧٤ - ١٧٥؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ٢٤٤.

(٤) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤/٣٥٤.

بفحص طلياطة ، فأغار الروم الغربيون على تلك الجهة ، فغنموا ما وجدوا وساقوا ما أصابوا ، والعاذل صاحب المغرب يومئذ باشيلية ووزيره أبو زيد بن يوجان ، ومعهما أهل الدولة وأشياخ الأمر ، ولا غناء لديهم ولا مدفع عندهم ، إذ كان الأمر قد أدبر ، ورونق الدولة قد تغير ، ومن نزلت به من الناس مصيبة أو أغير له على سرح لم يرج مغيثاً ولا يجد نصيراً ، وكان خبر هؤلاء الروم بلغ اشبيلية قبل ذلك بأيام ، واجتمع جمع كثير من العامة في المسجد الجامع ، فلما فرغ من صلاة الجمعة قاموا فصاحوا بالسلطان يحملونه على الخروج ، فلما كان يوم السبت خرج المنادي ينادي الناس بالخروج إلى العدو ، وأخذوا في ذلك وتجهزوا ، وخرج بعضهم في ذلك اليوم ، ولما كان يوم الأحد جدّ بالناس الخروج ، فخرجوا على كل صعب وذلول ، كبارهم وصغارهم ، بسلاح وبغير سلاح ، كما يخرجون إلى نزههم في البساتين والجنات ، فتكامل جمعهم في جهة طلياطة يوم الأحد ، ولم يخرج معهم من الخيل إلا دون المائة ، والروم في عدد ضخم ، عليهم الدروع وبأيديهم الأسلحة ، وأكثر جميع المسلمين بغير سلاح إلا ما لا قدر له ، وإنما هم أهل الأسواق والباعة ، وكان فيمن خرج من الجند أبو محمد عبد الله بن أبي بكر بن يزيد ، وهو أعلم بالحرب من هؤلاء الرعاع والغوغاء الذين لا يغفلون ، فصاحوا به أن يصير بهم إلى لقاء العدو ، فأبى عليهم ونهاهم وحذرهم ، فأبوا عليه إلا اللقاء وسبوه وأذوه بالقول ، فزهمهم وانصرف عنهم هو ومن كان معه من الخيل ، إذ رأوا ما لم يروه ،

وعاينوا ما لم يعاينوه ، وأبصروا ما لا طاقة لهم به ، فلما رأى الروم ذلك مالوا على أولئك العامة ، فلما رأوهم مستقبليين لهم أخذوا في الفرار فوقع القتل بهم ، فأفني منهم بالقتل كثير ، وأسر منهم كثير ، وأفلت كثير ، وكان الناس بعد يختلفون في مقدار من أتى القتل عليه من أهل اشبيلية والأسر ، فمقلل ومكثر ، فالمكثر يقول بلغوا عشرين ألفاً ، وقيل دون ذلك ، فالله أعلم ، وخرج العادل من اشبيلية متوجهاً إلى حضرة مراکش في ذي القعدة من هذه السنة ، وهي سنة إحدى وعشرين وستمائة^(١) ، وقد وصف ابن عبد الملك المراكشي موقعة طلياطة بأنها ((موقعة عظيمة وملحة دامية))^(٢).

ثم طمع النصارى الأسبان في جبة الغرب لما حققوه من مكاسب ، فبعد عام من هذه النكسة التي حلت بالمسلمين (أي سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م) هاجم النصارى مدينة طلياطة مرة أخرى بقيادة ملك قشتالة Castilla^(٣) فرنادو الثالث Fernando III (٦١٤-٦٥٠هـ/١٢١٧-١٢٥٢م) بالتحالف مع البياسي^(٤) المتمرد على الحكم

(١) الروض المعطار، ص ٣٩٥.

(٢) الذليل والتكملة، ٢٨/٥.

(٣) تقع مملكة قشتالة بين جبال اشتوريس ويسقاية من الشمال وأراغون من الشرق وليون من الغرب والأندلس من الجنوب، ينظر: أرسلان، الحلل السندسية، ٣١٧/١-٣١٨؛ الحسيناوي، قشتالة، ص ١٦.

(٤) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن المعروف بالبياسي خلع بيعة العادل الموحي وأعلن نفسه خليفة واستعان بالانصارى وهاجم إشبيلية إلا أنه فشل وقتل سنة ٦٢٣ هـ/١٢٢٦ م، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ١٢٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحيين، ص ٢٧١=

الموحدى ، إذ سار المتحالفين بقواتهم باتجاه مدينة إشبيلية ، وعبروا نهر الوادي الكبير إلى إقليم الشرف حيث طلياطة ، وعلى إثر ذلك خرجت القوات الموحدية وأل إشبيلية بقيادة أبى العلاء لصددهم ، واشتبك الطرفان بالقرب من مدينة طلياطة ، وفيها هزم الموحدون هزيمة كبيرة وقتل منهم نحو ألفين^(١) .

وعلى إثر خسارة الموحدين للمعركة ، فقد خضعت معظم البلاد والحصون الواقعة بين إشبيلية وقرطبة Cordoba لسلطة البياسى ، ومن ضمنها مدينة طلياطة^(٢) ، بل أن أهل قرطبة ذاتها حينما رأوا تفرق البياسى خلعوا طاعة حاكمها أبى موسى أخى الخليفة العادل وأعلنوا طاعتهم للبياسى^(٣) .

ويبدو أن هذا النجاح الذى حققه البياسى وسيطرته على معظم مدن ونواحي الأندلس الوسطى شجعه على أن يستولى على إشبيلية ، فسار بقواته مرة أخرى باتجاه إشبيلية سنة ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م وحاول أن يضرب حولها الحصار ، ولكن أبو العلاء أخو الخليفة العادل قد استعد إلى لقاءه ، وفعلاً خرج إليه فى حشود الموحدى وأهل المدينة وحدثت معركة عنيفة بين الطرفين انتهت بهزيمة البياسى وقواته ، وقد أشار ابن عذارى إلى ذلك بقوله: ((ثم نزل البياسى المذكور لعنه الله على

=ابن أبى زرع، الأندلس المطرب، ص ٢٧٤ .

(١) الحميرى، الروض المعطار، ص ١٢١؛ عنان، دولة الإسلام فى الأندلس، ٣٥٩/٤ .

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، قسم الموحدى، ص ٢٧١ .

(٣) ابن القطان، نظم الجمال، ص ٢٤؛ عنان، دولة الإسلام فى الأندلس، ٣٥٩/٤ .

إشبيلية محاصراً لها وأبو العلاء أخو العادل فيها محاصراً بها فخرج إليه بعسكر المسلمين فهزمه الله مع من كان معه من الكافرين في الخامس والعشرين لصفري من السنة المؤرخة (...))^(١).

وكان لهذا النصر الذي حققته القوات الموحدية على البياسي نتائج طيبة ، إذ ارتدت طلياطة وحصن القصر وبقية الحصون التابعة لإشبيلية عن طاعة البياسي ، وعادت إلى طاعة الخليفة العادل^(٢). وعلى إثر ذلك النصر كتب السيد أبو العلاء إلى أخيه الخليفة العادل من إشبيلية يخبره بهزيمة البياسي ، ومما جاء في ذلك: ((... ، وإن المحنة بهذا البائس قد بلغت مداها ، وانقبضت بعد البسط يداها ، وانتهى إلى غاية لا يتعداها ، والحمد لله الذي أذل للخلافة العادلة أحد عداتها ، وأنصفها من منازعتها بأداتها ، فكافر النعم تستحيل عليه نقماً ، وحاجب الشمس ضوءها حافظاً بين ظلام وعماء ، والموحدون عازمون على إتباع هذا العدو إلى أن يدعو عقيراً أو يستثبوه أسيراً إن شاء الله تعالى ، وكتب في ربيع الأول من عام ثلاثة وعشرين وستمائة))^(٣).

لم يستمر البياسي طويلاً بعد ذلك ، إذ سرعان ما قامت ثورة ضده من قبل العامة من أهل قرطبة ، وتمكنوا من قتله سنة ٦٢٣هـ

(١) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٧١.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٧٢ - ٢٧٣؛ عنان، دولة

الإسلام في الأندلس، ٤/٣٦٠.

(٣) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٧١ - ٢٧٢.

١٢٢٦/ م ، وبعث السيد أبو العلا رأسه إلى الخليفة العادل في مراكش ، فكافئه الأخير أن ولاه على قرطبة بالإضافة إلى إشبيلية ، وقد أشار إلى ذلك ابن عذاري بقوله: ((وفي هذه السنة قامت العامة من أهل قرطبة على البياسي المذكور وقتلوه وبعثوا برأسه إلى إشبيلية فبعثه السيد أبو العلا إلى حضرة مراكش إلى العادل ، وكتب عن أمير المؤمنين العادل جواباً لأخيه أبي العلا بعد ما ورد إليه كتابه ومع رأس البياسي يتضمن تقديم أخيه أبي العلا المذكور على قرطبة مضافة له لإشبيلية))^(١).

بعد ذلك خلع أبو العلا أخاه الخليفة العادل ودعا لنفسه وتلقب بالمأمون وذلك سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٦م^(٢) ، وفي عهده اضطرت الأوضاع في الدولة الموحدية ، وأدت إلى قيام ثورات عديدة في الأندلس لاسيما تلك التي قادها محمد بن يوسف بن هود الجذامي^(٣) ، ومحمد بن يوسف بن الأحمر^(٤) ، وكان الأول قد ثار على

(١) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٧٣ .

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٧٣ .

(٣) وهو من سلالة بني هود حكام سرقسطة ملك مرسية وقرطبة وإشبيلية وغرناطة ومالقة والمرية بعد انقراض دولة الموحدين وأعلن الخطبة العباسية، وكانت وفاته سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٨٨- ٢٨٩؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/ ٢٤٦- ٢٥٠؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٦٤- ٢٦٦ .

(٤) يرجع محمد بن يوسف بن الأحمر النصري من سلالة الصحابي سعد بن عباد الأنصاري ظهر في أواخر الدولة الموحدية في الأندلس وخضعت له العديد من المعامل الجنوبية ومنها غرناطة، وأخذ سلطانه يتسع بعد وفاة ابن هود، وتمكن من تكوين مملكة له وراثية استمرت حتى نهاية الإسلام في الأندلس،=

الموحدين سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٧ م في شرق الأندلس وسرعان ما تمكن من السيطرة على معظم مناطق الأندلس في الوسط والشرق وحاول مدّ نفوذه إلى الغرب الأندلسي^(١).

إلا أن ظهور محمد بن يوسف بن الأحمر على الساحة السياسية قد عرقل تحقيق أحلام ابن هود ، إذ يرجع نسب عائلة ابن الأحمر كسادة على حصن أرجونة Arjona الواقعة على مقربة من نهر الوادي الكبير Rio Guadalquivir ، وكان لبني نصر في تلك المنطقة عصبية ووجاهة^(٢) ، فلما اضطرت الأمور في الدولة الموحدية وظهر ابن هود في شرق الأندلس ، لاحت لمحمد بن يوسف بن الأحمر فرصة الظهور ، فدعا لنفسه ويبيع أولاً في أرجونة موطن أسرته وأنصاره وفي المناطق القريبة منها وذلك سنة ٦٢٩هـ/١٢٣١م^(٣).

ومن أرجونة أخذ ابن الأحمر يوسع نفوذه ، ففي سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م تمكن من الدخول إلى مدينة جيان وقرطبة وبعض مناطق غرب الأندلس^(٤).

=وكانت وفاته سنة ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م، ينظر: ابن عناري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٩٦؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٣/٢ وما بعدها؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٦٧- ٢٦٩.

(١) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٧٥؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/٢٤٨.
(٢) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٣٠ وما بعدها؛ كناسة الدكان، ص ١٨ وما بعدها.

(٣) ابن عناري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٩٦.

(٤) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٧٥- ٢٧٦؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٣١؛ ابن خلدون، العبر، ٦/٣٩٥- ٣٩٦.

ويبدو أن ابن هود شعر بخطورة الموقف الذي يضطلع به منافسه ابن الأحمر ، فأخذ يتأهب لمواجهة والقضاء على حركته ، كما أن ابن الأحمر كان مستعداً لمواجهة ابن هود لكي يكون هو المتحكم الوحيد في الأندلس ، وعلى إثر ذلك عقد ابن هود هدنة مع ملك قشتالة فرناندو الثالث من أجل التفرغ لمعركته الداخلية ، في حين عمل ابن الأحمر على تقوية جبهته بالتفاهم مع أبي مروان أحمد بن محمد الباجي^(١) المتحكم الفعلي بمدينة إشبيلية ومدينة طلياطة ، وذلك بأن عقد معه حلفاً وصاهره على ابنته ، واتفق الاثنان على مقاومة ابن هود ومحاربه^(٢).

وحشد كل منهما قواته ، وتأهب الطرفان للقتال ، وحدث الصدام العسكري على مقربة من إشبيلية ، وانتهت المعركة بهزيمة ابن هود وانتصار ابن الأحمر والباقي سنة ٦٣١هـ/ ١٢٣٣م ، ودخل ابن الأحمر مدينة إشبيلية ، وبعدها غدر بالباقي وقتله ، وحاول أن يسيطر على المدينة ، إلا أنه سرعان ما ثار به أهل إشبيلية وأخرجوه منها ، وأرسلوا إلى ابن هود الذي سارع بإرسال أخيه سالم ليضطلع بولاية إشبيلية مرة أخرى^(٣).

-
- (١) ذكر ابن عذاري أن أهالي مدينة إشبيلية طردوا الوالي الموحيدي سنة ٦٢٩هـ / ١٢٣١م ونصبوا عليهم أبا مروان الباجي يرجعون إليه في رأيه، ثم بايعوه، وبقي فيهم حتى قتل سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥م، ينظر: البيان المغرب، قسم الموحيدين، ص ٢٩٦.
- (٢) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحيدين، ص ٣٠٣؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٧٥.
- (٣) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحيدين، ص ٢٩٦؛ ابن خلدون، العبر، ٢١٧/٤.

وقد علق ابن أبي زرع على هذه المواجهة بقوله: ((وفي سنة إحدى وثلاثين وستمئة وقعت المقاتلة بين ابن الأحمر وابن هود والباجي على مقربة من إشبيلية فهزماه))^(١).

ويبدو أن الأمور قد تغيرت فيما بعد ، إذ أدرك الطرفان خطر الحرب فيما بينهما ، وأن الاستفادة الوحيد من ذلك هم النصارى المتمثلين بمملكة قشتالة ، لذا عقدا الصلح بينهما في سنة ٦٣١هـ / ١٢٣٣م ، وكان من نتائج هذا الصلح أن يعترف ابن الأحمر بطاعة ابن هود مقابل أن يقره الأخير على جيان وأرجونة وبركونة Porcuna وأحوازاها^(٢) ، ولكن سقوط قرطبة بيد النصارى سنة ٦٣٣هـ / ١٢٣٥م^(٣) ، دفعت ابن الأحمر إلى الزحف نحو غرناطة Granada^(٤) ودخلها سنة ٦٣٥هـ / ١٢٣٧م واتخذها قاعدة للملكة^(٥).

وما زاد في نفوذ ابن الأحمر مقتل ابن هود في السنة نفسها^(٦) ،

(١) الأنيس المطرب، ص ٢٧٦.

(٢) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٧٦؛ ابن خلدون، العبر، ٤/٢١٧؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤/٤١٦.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن سقوط قرطبة ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٣١؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٦٧؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٦٦؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤/٤١٨-٤٢٥.

(٤) مدينة أندلسية تابعة لكورة البيرة وتبعد عنها ستة أميال، وتعرف بمدينة اليهود، ينظر: ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص ١٧٤.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٤٢-٣٤٤؛ ابن خلدون، العبر، ٤/٢١٧.

(٦) لمزيد من التفاصيل عن مقتل ابن هود، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٤١-٣٤٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ١/٧٦؛ مؤلف=

ثم دخلت مدينة مالقة Malaga^(١) في طاعته سنة ٦٣٦هـ/١٢٣٨م^(٢) ،
ويبدو أن مدينة إشبيلية بما فيها طلياطة لم تدخل في طاعة ابن
الأحمر ، إذ رفض أهلها الخضوع له ، ولعل ذلك بسبب موقفه من
الباجي والغدر به ، وفي هذا الأثناء أخذ ملك قشتالة فرناندو الثالث
بمهاجمة المدن الأندلسية ، وأصبحت سائر القواعد الوسطى لاسيما
جيان وأحوازها تحت رحمته ، الأمر الذي أجبر ابن الأحمر إلى
عقد صلح مع ملك قشتالة على سلطنة غرناطة ، وفعلاً عقد الصلح
بين الطرفين في سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م ، وكان من بنوده عقد هدنة بينهما
لمدة عشرين سنة ، كما أعطى ابن الأحمر جيان وبركونة وأرجونة
للنصاري ، وصالهم على ذلك مقابل تأمين غرناطة ، ولم تدخل في
هذا الصلح مدينة إشبيلية ولا شريش Jerez de Frontera^(٣)^(٤) ، ما
يعد ضوء أخضر للملك القشتالي بالاستيلاء عليهما.

وفعلاً بدأ ملك قشتالة فرناندو الثالث بمهاجمة المدن التي لم تدخل
في الصلح لاسيما الواقعة غربي سلطنة غرناطة ، إذ شرع النصاري في

= مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٦٦.

(١) مدينة أندلسية تقع على البحر، وتبعد عن أرشذونة ثمانية وعشرون ميلاً،

ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٥١٧.

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٤٩.

(٣) مدينة أندلسية تبعد عن إشبيلية مرحلتان، تشتهر بإنتاج الكروم والتين

والزيتون، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٧٢/٢ - ٥٧٣؛ ابن غالب، فرحة

الأنفس، ص ٢٥.

(٤) ابن عذارى، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٦٧؛ ابن أبي زرع، الذخيرة

السنية، ص ٦٨؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤٣٢/٤ - ٤٣٣.

حصار إشبيلية سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م ، وحشد فرناندو الثالث قوات كبيرة جاءت من مختلف أنحاء قشتالة ، كذلك اشترك معه الأمراء والأشراف والأحبار النصارى ، كما دفع الملك القشتالي أسطوله في نهر الوادي الكبير ، إحكاماً لمخاصرة المدينة من جهة البحر ، واضطر ابن الأحمر أن يشترك بقوة من فرسانه مع القشتاليين تنفيذاً للعهد الذي قطعه على نفسه في معاهدة الصلح مع ملك قشتالة ، كما أنه أراد الانتقام من أهل إشبيلية لخلدهم إياه وعدم الدخول في طاعته^(١).

استمر حصار إشبيلية زهاء ثمانية عشر شهراً وأبدى المسلمون مقاومة كبيرة في الدفاع عن مدينتهم ، وبعدها اضطر أهل إشبيلية إلى تسليم المدينة على أن يؤمن المسلمون على أنفسهم وأموالهم ، وأن يمهلوا شهراً لتسوية شؤونهم وإخلاء دورهم والتأهب للرحيل ، وبعدها دخل فرناندو الثالث مدينة إشبيلية في أوائل رمضان سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م في موكب ضخم بعد أن حكمها المسلمون أكثر من خمسة قرون ، وقد أشار ابن عذاري إلى هذه الأحداث بقوله: ((وفي سنة ست وأربعين وستماية كان استيلاء الطاغية أذفونش على مدينة إشبيلية أعادها الله للإسلام ، بعد ما جرعوا أهلها كأس الحمام ، من كثرة الجاعة وعدم الطعام ،... ، فسلموا لهم المدينة وخرج منها الخاص من أهلها والعام ، وكان ذلك في يوم سبع وعشرين من شهر رمضان المعظم من هذا العام ، وكان نزول الطاغية عليها في شهر جمادي الأولى من

(١) ابن خلدون، العبر، ٦/٢٩٢؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤٤/٥.

العام الفارط ، فكان حصارهم لها مدة عام وخمسة أشهر بعدما ما كانوا يجدونها قبل ذلك بعام...))^(١).

كان سقوط إشبيلية إيذاناً بسقوط سائر المدن والحصون الإسلامية فيما بينها وبين مصب نهر الوادي الكبير ، ومن ضمنها مدينة طلياطة وذلك في السنة نفسها ، كما استولى النصارى تباعاً على شريش وشذونة وروطة Rota^(٢) وأركش Arcos^(٣) وثمر شنتمرية Santa Maria^(٤) ، وغيرها من قواعد الوادي الكبير وحصونه ، وهكذا بسط القشتاليون سلطانهم على سائر الأراضي الأندلسية غربي بلاد الأندلس وأخذت رقعة الدولة الإسلامية تنكمش وتنحسر بسرعة كبيرة^(٥)

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٨٤؛ وينظر أيضاً: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤٥/٥.

(٢) وهو حصن بين المغرب والقبلة من شريش على ستة أميال من شاطيء البحر، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٠.

(٣) حصن بالأندلس على وادي لكّة، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٢٧.

(٤) وهي من مدن أكشونة غرب الأندلس على ساحل المحيط الأطلسي، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٧.

(٥) لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٨٤ وما بعدها؛ ابن أبي زرع، الذخيرة السنينة، ص ٧١ وما بعدها؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤٥/٥ وما بعدها.

إسهاماتها الفكرية

حكم المسلمون مدينة طلياطة أكثر من خمسة قرون ونصف ،
ونظراً لجمال طبيعتها وكثرة خيرتها وقربها من إشبيلية فقد قصدها
العديد من العلماء بقصد السكن بها وأسهموا مع العديد من أهلها
في رفا الحركة العلمية في الأندلس ، نذكر منهم:

- أحمد بن حسان بن حسان بن حسان الكَلْبِيّ يكنى أبا القاسم
من أهل طلياطة ثم سكن إشبيلية ، من ولد أبي الخطار الحسام بن
ضرار الكَلْبِيّ أمير الأندلس في خلافة هشام بن عبد الملك ، اشتهر
بالأخبار والأدب والكتابة ، وله شعر ، وتوفي سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨م^(١).

- أحمد بن خلف بن عبد الله اللخمي ، النحوي الضرير ، يكنى
أبا عمر ، من أهل قرطبة سكن إشبيلية ثم طلياطة ، وكان إماماً في
العربية والآداب ، وله شعر حسن ، وتوفي بطلياطة سنة ٤٤٩ هـ
/ ١٠٥٧م^(٢).

- حماد بن شقران بن حماد الاستجي الطلياطي من أهل
أستجة وسكن طلياطة ، اشتهر بعلم الحديث ، ورحل إلى المشرق ثم
رجع إلى الأندلس وحدث بها ، وتوفي سنة ٣٥٤ هـ / ٩٦٥م^(٣)

(١) ابن الأبار، التكملة ١/١٠٣؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ١/٢٧٥.

(٢) ابن بشكوال، الصلة، ص ٥٧ - ٥٨.

(٣) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ١٠٩؛ ياقوت، الأندلس من معجم
البلدان، ص ١٩٢ - ١٩٣.

- عبد السلام بن عبد الرحمن بن عبد السلام بن بركان ، يكنى
أبا الحكم ، من أهل طلياطة^(١) ، اشتهر باللغة والنحو حتى أنه كتب
ردوداً على أبي الحسن بن سيده^(٢) بين فيها بعض أغلاطه في كتابه
الحكم والمحيط الأعظم ، كما كان له استلحاقات كثيرة على اللغويين ،
كما اشتهر في التفسير والقراءات ، وله كتاب في تفسير القرآن ، فضلاً
عن أنه كان عالماً صالحاً زاهداً ، توفي سنة ٢٢٧هـ / ١٢٢٩م^(٣) .

- عبد الملك بن محمد بن عبد الملك بن هاشم الأموي ، المعروف
بابن المكوي من أهل طلياطة ، ثم انتقل إلى قرطبة ، كان من أهل
الطهارة والعفاف ، ذا حظٍ صالح من علم الفقه ، توفي سنة ٤٢٥هـ
/ ١٠٣٣م^(٤) .

- عيسى بن مُحَمَّد بن حبيب الحميري ، من أهل طلياطة ،
اشتهر بعلم القراءات ، أخذ القراءات عن أبي بكر بن صاف^(٥) ،

(١) ابن الأبار، التكملة، ٢١/٣ .

(٢) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأعمى اللغوي الأندلسي كان
عالماً باللغة والنحو والأشعار والأخبار وأيام العرب، له كتاب الحكم والمحيط
الأعظم، وكتاب المخصص، وشرح إصلاح المنطق، توفي سنة ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م،
ينظر: ياقوت، معجم الأديباء، ٤/١٦٤٨ - ١٦٥٠ .

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٢/٤٨١؛ المسلمح من كتاب الصلاة، ص ٢٧٦؛
الفيروزآبادي، البلغة، ص ١٨٥؛ ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء،
٣٨٥/١؛ السيوطي، بغية الوعاة، ٢/٩٠ .

(٤) ابن بشكوال، الصلاة، ص ٣٤٢ .

(٥) هو محمد بن جعفر بن عبد الرحمن بن صاف اللخمي يكنى أبا بكر من
أهل قرطبة اشتهر بعلم القراءات، وتوفي سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م، ينظر: ابن
الأبار، التكملة، ٥/٢ - ٦ .

وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْجَدِّ^(١) ، وَوَلِي الْقَضَاءَ وَالصَّلَاةَ
وَالْخُطْبَةَ بِجَامِعِهِ فِي طَلِيَاطَةَ ، وَكَانَ مَقْرَأً مَاهِرًا فَقِيهًا حَافِظًا ، تُوِّفِيَ
سَنَةَ ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م^(٢) .

(١) هُوَ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْجَدِّ الْفَهْرِيِّ يَكْنَى أَبُو بَكْرٍ اشتهر بالفقه
والحديث وتوفي سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م ، ينظر: ابن بشكوال، الصلاة، ٦٣٥ .
(٢) ابن الأبار، التكملة، ١٤/٤ .

مدینة قصر أبی دانس
Alcacer do Sal الأندلسیة
٩٣ - ٦١٤ هـ / ٧١١ - ١٢١٧ م

الجغرافية التاريخية لمدينة قصر أبي دانس Alcacer do Sal

قصر أبي دانس إحدى مدن غربي الأندلس في القسم الجنوبي من البرتغال Portugal الحالية ، جاء بألفاظ متعددة فذكره ابن حوقل بلفظ قصر بني وردانس^(١) ، أما ابن حيان فذكر قصر بن أدانس^(٢) ، وجاء لفظه عند الإدريسي مكرراً مرة قصر أبي دانس وأخرى القصر^(٣) ، واكتفى ابن غالب بذكر القصر فقط وأضافه إلى باجة Baja بقوله: (باجة من مدائنها القصر)^(٤) ، وإلى ذلك أيضاً ذهب ياقوت بقوله: (قصر باجة مدينة بالأندلس من نواحي باجة قريبة من البحر)^(٥) ، أما الحميري فذكرها مرتين - كما فعل الإدريسي - مرة قصر أبي دانس وأخرى القصر^(٦) ، وذكرها أبو الفدا

(١) صورة الأرض، ص ١١٥.

(٢) المقتبس (للقحبة ٣٠٠ - ٣٣٠ هـ / ٩١٢ - ٩٤١ م)، ص ٢٥٤، ٤٩٠.

(٣) نزهة المشتاق، ٢/٥٣٨، ٥٤٤.

(٤) فرحة الأنفس، ص ٢١.

(٥) الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٢٩.

(٦) الروض المعطار، ص ٤٧٥، ٤٧٦.

بقصر بودانس^(١) ، ويبدو أن الاختلاف في لفظ أبي دانس راجع إلى التصحيف عند النساخ.

أما أبو دانس فذكره ابن حزم بالقول: بنو دانس بن عوسجة كانوا أصحاب مدينة قلنبيرة Colenbeira^(٢) وإلى جدتهم أبي دانس ينسب قصر أبي دانس بالجوف^(٣) ، وبنو عوسجة هم من قبيلة مصمودة البربرية أسلم جدهم عوسجة بين يدي الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ / ٧٠٥-٧١٤م)^(٤).

وهناك تسمية أخرى لها وهي قصر الفتح ، قال ابن الأبار: قصر الفتح المنسوب إلى أبي دانس^(٥) ، ويبدو أن هذه التسمية أطلقت على المدينة بعد استعادتها من قبل الموحدين Almohaes, Los سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١ م ، وقد عبر عنها ابن عذاري بقوله هي: (فتح الفتوحات)^(٦). وإطلاق اسم قصر أبي دانس على المدينة يوحي بأنها إسلامية محدثة ، ولكنها في الحقيقة مدينة قديمة اسمها القصر ، استوطنها الأيبيريون (١٠٠٠-٥٠٠ ق. م) وكانت تعرف آنذاك بمدينة القصر Caceres (استرامادورا)^(٧) ، وبقي اسمها القصر في العصر الفينيقي الذين

(١) تقويم البلدان، ص ١٦٩ .

(٢) وهو من حصون غرناطة الغربية، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٧٢٩/٢؛

مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص ٨٢ .

(٣) جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠١ .

(٤) مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص ١٨٨ .

(٥) الحلة السيرة، ٢٧٢/٢ .

(٦) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢١١ .

(٧) حتاملة، أيبيريا، ص ١٠٩ - ١١٠ .

أسسوا مراكز تجارية لهم في شبه الجزيرة الأيبيرية Iberia في القرنين الثامن والسابع ق. م حيث وجدت آثار فينيقية في مدينة القصر^(١) ، وكانت المدينة تعرف في العصر الروماني Salacia^(٢) ، ويسمى الموضع الآن بالاسبانية Alcacer do Sal أي قصر الملح^(٣) ، ولا تزال آثاره قائمة وهو الآن مركز إداري في مديرية يابرة Evora في البرتغال بين باجة ولسبونة^(٤) Lisbon

وهذا يعني أن اسم القصر كان أقدم من الحقبة الإسلامية ، ولهذا عندما تكلم الإدريسي عن إقليم الأندلس جعل إقليم القصر قائماً بذاته وفيه مدن عدة بقوله: (إقليم القصر وفيه القصر المنسوب لأبي دانس وفيه يابورة^(٥) وبطليوس^(٦) وشريشة^(٧) وماردة^(٨) وقنطرة

(١) حتاملة، أيبيريا، ص ١٣١ .

(٢) سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية، ص ١٩٦ .

(٣) ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢٧٢/٢ هامش رقم (١) .

(٤) الخلف، نظم حكم الأمويين، ٥٨١/٢؛ ولسبونة إحدى مدن الساحل الغربي الأندلسي سقطت بيد النصارى سنة ٥٤١ هـ/ ١١٤٦ م، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٢؛ الدرويش والعلياوي، دراسات في تاريخ المدن الأندلسية، سلسلة رقم (٣)، ص ١٨٥ - ٢٢٨ .

(٥) يابورة أو يابرة وهي احد مدن غرب الأندلس قديمة خصبة الأرض وطيبة المياه والهواء، ينظر: مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ١٠٣ .

(٦) وهي مدينة كبيرة في غرب الأندلس على نهر آنه غربي قرطبة، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٨٠ .

(٧) شريش وهي احد مدن كورة شنونة الأندلسية، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٥٩ .

(٨) إحدى مدن غرب الأندلس بينها وبين قرطبة مسافة خمسة أيام، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢١ .

السيف^(١) وقورية^(٢) (٣) ، فضلاً عن أن كلمة القصر في المفهوم الجغرافي الأندلسي تعني مدينة^(٤).

أشرنا إلى أنها من مدن غرب الأندلس تقع على ضفة نهر يدعى شطور Sado ، قال الإدريسي: (... ، والقصر مدينة حسنة متوسطة على ضفة النهر المسمى شطور وهو نهر كبير تصعد فيه السفن والمراكب السفرية كثيراً...) (٥) أي أن النهر المفضي إليها من البحر المحيط (المحيط الأطلسي) صالح للملاحة مما حولها إلى ميناء مهم من موانئ الساحل الغربي الأندلسي ، وقد أطلق أبو الفدا اسم المدينة على النهر فقال: نهر بودانس^(٦).

أما المسافات بينها وبين ما جاورها من المدن الأندلسية ، فإن بينها وبين مدينة شلب Silves أربع مراحل^(٧) وبينها وبين البحر المحيط عشرين مرحلة ، وبينها وبين مدينة يابرة مرحلتين^(٨) ، ومن فم نهر

(١) وهي إحدى مدن غرب الأندلس بينها وبين بطليوس أربعة أيام وبينها وبين ماردة يوم، ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١١٥.

(٢) مدينة أندلسية من أعمال كورة ماردة غرب الأندلس، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢١.

(٣) نزهة المشتاق، ٦٣٨/٢.

(٤) طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٧٤.

(٥) نزهة المشتاق، ٥٤٤/٢.

(٦) تقويم البلدان، ص ١٥٣.

(٧) المرحلة تساوي أربعة وعشرون ميلاً أو ثمانية فراسخ، ينظر: الشرييني، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، ٥٢١/١ - ٥٢٢.

(٨) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٤٤/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٧٦، ٤٧٧، ٦١٦.

شطوبر الذي تقع عليه مدينة قصر أبي دانس إلى مدينة لشبونة مسافة يوم^(١) على البحر^(٢) ، فيما ذكر أبو الفدا أن بين مدينة قصر أبي دانس ولشبونة أربعين ميلاً^(٣).

أما بسيطها المحيط بها فتغطيه مساحات واسعة من أشجار الصنوبر التي يستفاد من أخشابها في صناعة السفن ، وهو ما دفع حكومة قرطبة Cordoba إلى إنشاء دار لصناعة السفن فيها ، فضلاً عن أن كثافة الأشجار حولها إلى مرعى ساعد على انتشار الثروة الحيوانية ، وقد أشار الإدريسي إلى ذلك بقوله: (... ، وفيما استدار بها من الأرض كلها أشجار الصنوبر ، وبها الإنشاء الكثير ، وهي في ذاتها رطبة العيش خصيبة كثيرة الألبان والسمن والعسل واللحوم ،...) ^(٤) ، كما يتوفر في سواحلها العنبر^(٥) الذي يعد مصدراً للعمل من قبل سكانها ، فضلاً عن الملح الذي يوجد فيها وكان سكانها يتاجرون فيه ، وهو واضح من التسمية البرتغالية لها Alcacer do Sal^(٦) ، وقد أشار العذري إلى أن وادي الملح يقع إلى الشمال من لبلبة Niebla قرب جبل العيون^(٧).

-
- (١) اليوم هو المسافة التي يقطعها المسافر على الدابة وتقدر بمرحلة واحدة أي ثمانية فراسخ، ينظر: جمعة، المكايل والموازين الشرعية، ص ٥٦.
 - (٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١١٥.
 - (٣) تقويم البلدان، ص ١٦٩.
 - (٤) نزهة المشتاق، ٥٤٤/٢؛ ينظر أيضاً: الحميري، الروض المعطار، ص ٤٧٧.
 - (٥) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٢٩.
 - (٦) طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٧٤.
 - (٧) ترصيع الأخبار، ص ١١١.

ثانياً: التاريخ السياسي لمدينة قصر أبي دانس

لم ترد في المصادر المتوافرة إشارة مباشرة عن كيفية فتحها ووقت دخول المسلمين إليها ، ولكن المصادر اتفقت على أن موسى بن نصير قرر السير في فتوحاته على طريق آخر ليتمكن من فتح المزيد من المناطق التي لم يتيسر لطارق فتحها فأشار عليه الأدلاء على سلوك الجانب الغربي من البلاد فإن فيه مدائن كثيرة^(١) ، ونحن هنا أمام روايتين ، ذهبت الأولى إلى أن موسى عندما عبر إلى الأندلس سنة ٧١١/هـ م اتجه غرباً فافتتح إشبيلية Seevilla ثم اتجه إلى ماردة Merida التي استعصت عليه بعض الوقت مما اضطره إلى حصارها بضعة أشهر وفي أثناء حصارها حدثت تمرد في إشبيلية على من بها من المسلمين وسيطروا عليها بعد أن قتلوا ثمانين رجلاً من المسلمين وجاءتهم الإمدادات من المدن المجاورة مثل لبلبة وباجة^(٢) ، وهو ما اضطر موسى بعد الفراغ من ماردة إلى إرسال ابنه عبد العزيز إلى إشبيلية الذي تمكن من إعادة فتحها ثانية ثم تقدم إلى لبلبة وباجة فافتتحهما ثم رجع إلى أبيه في ماردة^(٣) ، فيما أشار المقري إلى أن عبد العزيز بن موسى بعد أن أنهى تمرد إشبيلية وأخضع باجة ولبلبة ثم أقام بإشبيلية^(٤).

(١) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٢٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٣/٢.

(٢) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٢٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٥/٢.

(٣) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٢٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٥/٢؛

المقري، نفع الطيب، ٢٧١/١.

(٤) نفع الطيب، ٢٧١/١.

أما الرواية الثانية فأشارت إلى أن موسى بن نصير عندما حلّ بإشبيلية خرج بعدها إلى أكشونبة Ocsonoba^(١) على شاطئ البحر فافتتحها وغيرها سلماً وحرماً^(٢) ، وأضافت إلى أن موسى ومن معه (اتفق رأيهم على المشي إلى إشبيلية وأن يبدعوا بغزو ما بقي من غربها إلى أقصى ساحل البحر بأكشونبة... فمشوا على رأيهم وفتحوا غرب الأندلس إلى ساحل أكشونبة)^(٣).

فنحن هنا أمام روايتين أحدهما أشارت إلى أن فتح الساحل الغربي- بما فيها قصر أبي دانس- كان على يد عبد العزيز بن موسى سنة ٩٣ هـ/٧١١ م وفي أيام أبيه عندما كان في ماردة ، أما الثانية فأشارت إلى أن فتح الساحل الغربي كان من قبل موسى إذ عرج بعد إشبيلية على مدن الساحل وافتتحها ثم توجه إلى ماردة ، ويبدو من الروايتين أن موسى قرر التريث في ماردة حتى ينتهي ابنه عبد العزيز من تطهير مناطق الساحل من فلول القوط ، لأنه من غير المعقول أن يترك موسى مدن الساحل بيد فلول من القوط ويتجه شمالاً تاركاً خطوطه الخلفية عرضة لهجمات أعدائه ، ونرجح أن فتح الساحل الغربي كان من قبل عبد العزيز بن موسى بعدما قضى على تمرد إشبيلية لذا قرر-ربما بتوجيه من أبيه- أن يأتي على

(١) وهي مدينة أندلسية على ساحل البحر الغربي يتصل عملها بأشبونة، ينظر:

ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٢؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٤٠.

(٢) مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص ٢٤.

(٣) مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص ٢٩.

مدن الساحل كمي لا تتكرر تجربة إشبيلية التي جاءت بها المساعدات من بقايا القوط في باجة ولبلة والتي تركها موسى خلفه عندما توجه نحو ماردة ، أما بخصوص الإشارة التي وردت في الرواية الثانية من أن موسى اتجه نحو الساحل فأياً كان الذي دخل المنطقة موسى أم ابنه عبد العزيز فإن الفتح كان تحت راية موسى.

ويبدو أن فتحها تم صلحاً ، إذ قام عبد العزيز خلالها بعقد معاهدات مع أهالي المدن التي فتحها والتي قد لا تختلف عن تلك التي عُقدت مع أهالي ماردة والتي ورد فيها أن لا يتعرض المسلمون بالأذى للسكان المحليين ولهم الخيار في البقاء أو مغادرتها إلى أي مكان آخر ، وضمنت لهم حرياتهم وكنائسهم وشعائهم الدينية ، وأن للمسلمين ممتلكات الذين قتلوا في الحرب أو الهاربين من القوط إلى جليقية Galicia^(١) ، وهو ما يعكس تسامح المسلمين مع أهالي البلاد التي يفتحونها بحرية العيش بسلام وعدم التعرض إلى ممتلكاتهم وعقائدهم.

(١) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٣٦؛ السامرائي، الثغر، ص ٥١؛ وفي نص ابن الأثير أن المسلمين صالحوا أهل ماردة في عيد الفطر عام ٩٤ هـ/٧١٢م على (أن جميع أموال القتلى يوم الكمين وأموال الهاربين إلى جليقية وأموال الكنائس وحليها للمسلمين) الأندلس من الكامل في التاريخ ص ٤٦-٤٧؛ ووردت المعاهدة في المقرئ (فصالحوه على إن جميع أموال القتلى يوم الكمين وأموال الهاربين إلى جليقية للمسلمين وأموال الكنائس وحليها لها ثم فتحوا المدينة يوم الفطر سنة أربع وتسعين) نضح الطيب، ٢٧٠/١.

وبخصوص القبائل التي سكنتها فأول ما يتبادر من اسمها أنها موطن بني دانس بن عوسجة من مصمودة الذي ينسب إليه قصر أبي دانس وكانوا قبل نزولهم مدينة القصر يسكنون في مدينة قلنبيرة^(١) في البرتغال الحالية ، ولم تشر المصادر المتوافرة لدينا إلى تاريخ انتقالهم إليها والسيادة فيها ، ولكن يبدو أنهم انتشروا في المنطقة الغربية من الأندلس منذ بداية عهد عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢ هـ/ ٧٥٥-٧٨٨ م) ، لأنهم كانوا قد انضموا إليه وقاتلوا معه عند دخوله إلى قرطبة فكان عبد الأعلى بن عوسجة يقاتل في جيش عبد الرحمن في معركة المصاراة وهو من طارد يوسف الفهري^(٢) واضطره إلى الهرب خارج قرطبة^(٣) ، ولهذا قربهم عبد الرحمن الداخل وأقطعهم الأراضي والمدن لاسيما في مناطق غرب الأندلس مثل قلمرية Coimbra وقصر أبي دانس^(٤) ، والراجح أن بني دانس بسبب ولائهم لبني أمية فقد قربهم أمراؤها واستمروا سادة وحكاماً في قصر أبي دانس والمناطق المحيطة بها كونهم يشكلون الأغلبية فيها ، ففي القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ذكر ابن حيان أن مدينة قصر أبي دانس والجبال المحيطة بها

(١) جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠١.

(٢) تولى يوسف بن عبد الرحمن الأندلس من سنة ١٢٩ هـ/ ٧٤٦ م حتى سنة ١٣٨ هـ/ ٧٥٥ م عندما أزاحه عبد الرحمن الداخل، وقتل سنة ١٤٠ هـ/ ٧٥٧ م،

ينظر عنه: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٧٦ - ٩١.

(٣) مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص ٨٩.

(٤) طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٧٤.

إلى الساحل كانت تحت حكم ولاة من بني دانس وهم من سنة ٩٢٩/هـ حتى سنة ٩٤١/هـ ٩٤١ م وهم كل من يحيى بن أبي دانس وعبد الله بن عمر بن أبي دانس^(١) ، وهذا يعني أنهم كانوا سادة المنطقة بلا منازع لمدة طويلة ، إذ المعروف أن حكام بني أمية في الأندلس كانوا لا يولون أميراً بربرياً في ناحية لا يغلب على سكانها العنصر البربري ، لأن حكم النواحي لا يقوم إلا على عزوة وعصب متأصلين^(٢).

وفيما عدا بني دانس بن عوسجة فإن هناك معلومات عامة عن القبائل البربرية التي سكنت مناطق غرب الأندلس الساحلية والقريبة منها ومن ضمنها قصر أبي دانس ، إذ أن منطقة الجوف تعد من معاقل البربر واقرن اسمها بهم^(٣) ، ففي ما ردة بني سكن مسعود بن تاجيت وهم بنو طريف من مصمودة ومنهم عبد الجبار بن زاقلة الذي تغلب عليها مدة^(٤) ، واستقر بنو فرفرن من زناتة وبنو وانسوس من قبيلة مكناسة في ماردة أيضاً^(٥) ، وكانت جبال المعدن القريبة من قصر أبي دانس غالبية سكانها من قبيلة البرانس البربرية حتى عرفت تلك الجبال بجبال البرانس^(٦) ، ولا يستبعد أن انتشروا

(١) ابن حيان، المقتبس (للحقبية ١٨٠ - ٢٣٢ هـ / ٧٩٦ - ٨٤٦ م)، ص ٢٥٤، ٤٩٠.

(٢) مؤنس، فجر الأندلس، ص ٤٢٤.

(٣) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٧٨.

(٤) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠١؛ طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٨١.

(٥) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٨٩، ٤٩٩.

(٦) طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٧٠.

أيضاً في مناطق الساحل الغنية.

أما القبائل العربية فإن بعض المصادر أشارت إلى تواجد مجموعات في منطقة الجوف والساحل ، فذكر أن أفراداً من رعين^(١) نزلوا قصر أبي دانس كان منهم المحدث إسماعيل بن أحمد بن مسعود الرعيني^(٢) ، وفي بعض المناطق القريبة من الساحل انتشر العديد من القبائل العربية فابن حزم أشار إلى أن الزهريين وهم من بني زهرة من قريش سكنوا باجة وبطليوس Badajoz^(٣) ، وأن قسماً من ولد الحجاج بن يوسف الثقفي سكنوا باجة^(٤) ، وأن بني حفص وهم من الأنصار من الأوس سكنوا غرب الأندلس ومنها باجة^(٥) ، وفي مدينة لبلة الواقعة إلى الجنوب من قصر أبي دانس سكن عدد من البطون والقبائل العربية منهم بعض ولد عبد العزيز بن مروان^(٦) ، وبنو سلول من بني مرة بن عامر بن صعصعة^(٧) ، وبنو

(١) ذورعين اسمه يريم بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن الغوث بن أيمن بن الهميسع بن حمير، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٣٣.

(٢) ابن الأبار التكملة، ١/١٥٤.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ١٣٢. السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٧٠.

(٤) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٦٧.

(٥) جمهرة أنساب العرب، ص ٣٣٣.

(٦) جمهرة أنساب العرب، ص ١٠٥.

(٧) جمهرة أنساب العرب، ص ٢٧٢.

شعبان بن ثعلبة^(١) ، وقبائل نمارة من إياد^(٢) ، وبنو حراز من بني حمير بن سبأ^(٣) ، وبنو خشين من قضاة^(٤) ، وفي ماردة سكن عدد من ذرية الإمام الحسن بن علي عليه السلام^(٥) ، إن انتشار بعض بطون وقبائل العرب في غرب الأندلس مثل باجة وماردة ولبلة القريبة من قصر أبي دانس وساحلها ، فإنه لا يستبعد أن قسماً منهم سكنها لاسيما وأن فرص العمل فيها متيسرة كالصيد والرعي والعمل في جمع المعادن.

إلا أن الحادث الأكثر شهرة والذي جلب الأنظار إلى الساحل الغربي للأندلس بشكل عام ، هو تعرض تلك السواحل إلى هجمات النورمان ، والنورمان هم أهل الشمال من سكان الدنمارك^(٦) ، وتطلق عليهم مصادرنا العربية اسم (المجوس)^(٧) ، ولا يقصد بهم عبدة النار ، ولأن النورمان كانوا حيث حلوا أشعلوا النيران ، وكانوا يحرقون جثث موتاهم فيها^(٨) ، وكانت غاراتهم

(١) جمهرة أنساب العرب، ص ٣١١.

(٢) جمهرة أنساب العرب، ص ٣٢٧.

(٣) جمهرة أنساب العرب، ص ٤٣٤.

(٤) جمهرة أنساب العرب، ص ٤٥٥.

(٥) جمهرة أنساب العرب، ص ٤٤.

(٦) الحجري، التاريخ الأندلسي، ص ١٢٧.

(٧) المسعودي، مروج الذهب، ١/١٦٣ (ويشير إناهم من الروس)؛ ابن القوطية، تاريخ، ص ٨٤؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٧٧؛ ابن سعيد، المغرب،

١/٤٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٨٧؛ المقرئ، نصح الطبيب، ١/٣٤٥.

(٨) العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص ٢٤٨.

تستهدف السواحل المكشوفة غير المحصنة ، ولما كانت سواحل الأندلس الغربية حتى القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي هادئة ، لذا كانت خالية من قوة بحرية ترابط فيها ، ومن هنا فقد فوجئ المسلمون بهجمات النورمان عليها.

كان أول ظهور لهم في سنة ٢٢٩ هـ/٨٤٣م^(١) ، فذكر ابن القوطية أن أول مكان أخذوه هو بسيط لشبونة^(٢) ثم انحدروا جنوباً حتى وصلوا إلى قادس Cadiz^(٣) ثم دخلوا إلى ودخلوا النهر إلى إشبيلية ولم ينسحبوا إلا بعد معارك عنيفة^(٤) ، وعلى الرغم من أن المصادر لم تشر إلى دخولهم قصر أبي دانس مباشرة إلا أنه ذكرت أن عامل لشبونة أرسل إلى سكان السواحل بالتحفظ والاحتراس^(٥) ،

(١) اختلفت المصادر في تحديد ذلك فذهب بعضهم إلى انه كان في سنة ٢٢٩ هـ /٨٤٣م ، وذهب آخرون أن الهجوم الأول كان عام ٢٣٠ هـ/٨٤٤م ، انظر التفاصيل: السامرائي، الثغر، ص ١٨٣ - ١٨٤. والراجح عند الحجي هو عام ٢٢٩ هـ/٨٤٣م ، التاريخ الأندلسي، ص ٢٢٨، وهو ما نذهب إليه لأن بقاءهم في السواحل استمر مئة يوم وكان هجومهم على لشبونة في أواخر عام ٢٢٩ هـ /٨٤٣م في ذي الحجة منه، وكان هجومهم على اشبيلية بعد ذلك وفي بداية سنة ٢٣٠ هـ/٨٤٤م ، ولعل هذا هو منشأ الاختلاف بين المصادر.

(٢) ابن القوطية، تاريخ، ص ٨١.

(٣) وهي جزيرة في غربي الأندلس من أعمال كورة شنونة، ينظر: ياقوت،

الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٠٧.

(٤) ابن حيان، المقتبس (للحقبه ١٨٠ - ٢٣٢ هـ / ٧٩٦ - ٨٤٦م)، ص ٤٥٠ -

ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٧٧ - ١٧٩؛ ابن عذاري،

البيان المغرب، ٢/٨٧ - ٨٨؛ المقرئ، نضح الطيب، ١/٣٤٥ - ٣٤٦.

(٥) ابن حيان، المقتبس (للحقبه ١٨٠ - ٢٣٢ هـ / ٧٩٦ - ٨٤٦م)، ص ٤٥١.

وذكر ابن القوطية أنهم هتكوا الساحلين^(١) أي ساحل إشبيلية وساحل البحر المحيط ، وذكر أنهم أغاروا على باجة^(٢) ، ولما كانت مدينة باجة بعيدة عن الساحل وتقبلها عليه مدينة قصر أبي دانس التي قيل إنها من أعمالها فلعلها المقصودة هنا في تعرض النورمان لها.

كان من أهم نتائج هجوم النورمان على لشبونة وسواحل الأندلس الأخرى هي^(٣):

١- تنبّهت الدولة إلى ضرورة وضع رباطات^(٤) على طول السواحل لمواجهة أي هجوم مفاجئ ، وقاموا بإصلاح السواحل التي خربها الغزاة^(٥).

٢- قامت الدولة بإرسال عدد من قطع الأسطول الأندلسي ليرابط في السواحل الغربية وفي ذلك يقول القوطية : إن الأمير عبد الرحمن بن الحكم (أنشأ المراكب واستعد برجال البحر من سواحل الأندلس فألحقهم ووسع عليهم ، فأستعد بالآلات والنفط)^(٦).

(١) تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨١.

(٢) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٧٩؛ المقري، نضح الطيب، ٣٤٦/١.

(٣) ينظر التفاصيل عن نتائج هجوم النورمان على لشبونة والساحل الغربي الأندلسي : الدرويش والعلياوي، دراسات في تاريخ المدن الأندلسية، سلسلة رقم (٣)، ص ٢٠١- ٢٠٢.

(٤) الرباط من ربط وهو المكان الذي يجتمع فيه المقاتلون ويكونون متاهبين لمواجهة الأعداء، ينظر مادة الرباط، دائرة المعارف الإسلامية، ١٩/١- ٢١.

(٥) المقري، نضح الطيب، ٣٤٦/١.

(٦) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٢- ٨٣.

ولما كانت مدينة قصر أبي دانس غنية بأشجار الصنوبر التي توفر الأخشاب اللازمة لصناعة السفن لذا فإنها تحولت بعد ذلك إلى مركز للصناعة ، وإلى ذلك أشار الإدريسي بقوله: (وفيما استدار بها من الأرض كلها أشجار الصنوبر وبها الإنشاء الكثير)^(١).

وفي سنة ٢٤٥ هـ/ ٨٥٩ م هاجم النورمان مرة أخرى سواحل بلاد الأندلس الغربية وكانت السواحل أكثر تحرزاً وحيطة فتصدت لهم قوة من الأسطول الأندلسي المرابط في قصر أبي دانس وتمكنت من إبعاد خطرهم بعد أسروا منهم مركبين ، وإلى ذلك أشار ابن حيان بقوله: (وفيها خرج الجوس -لعنهم الله- إلى ساحل الغرب من الأندلس ، وهو خروجهم الثاني ، خرجوا في اثنتين وستين مركباً فألفوا البحر محروساً ما بين حائط فرنجة في الشرق إلى أقصى حائط غليسية في الغرب ، وتقدم مراكبهم مركبان تلقتهما المراكب المنضوية الجارية من حائط جليقية معاقصة^(٢) في بعض مراسي باجة ، فغنمتها بما كان فيهما من مال ومتاع وعدة وسبي)^(٣) ، وليس لباجة مرسى غير قصر أبي دانس ، وهذا يعني أن هناك قوة من الأسطول الأندلسي أخذت ترابط في هناك لحماية السواحل من خطر القراصنة البحريين.

وفي سنة ٣٥٥ هـ/ ٩٦٥ م كانت القوة المرابطة في قصر أبي دانس

(١) نزهة المشتاق، ٥٤٤/٢.

(٢) من عقص والمعاقصة هي المعازة يقال: أخذته معاقصة، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ٤١/١٨ (مادة عقص).

(٣) المقتبس (للحقبية ١٨٠ - ٢٣٢ هـ/ ٧٩٦ - ٨٤٦ م)، ص ٣٠٧ - ٣٠٨، ينظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب، ٩٦/٢.

والمكلفة بمراقبة الساحل الغربي رصدت عدداً من مراكب النورمان ، فأرسلوا صريخهم إلى قرطبة وأهل الساحل بالتحفظ والاحتياط ، وقد أشار ابن عذاري إلى ذلك بقوله: (وفي أول رجب منها ، ورد كتاب من قصر أبي دانس على المستنصر بالله ، يذكر فيه ظهور أسطول الجوس ببحر الغرب بقرب من هذا المكان ، واضطراب أهل ذلك الساحل كلّه لذلك ، لتقدم عادتهم بطروق الأندلس من قبله فيما سلف ، وكانوا في ثمانية وعشرين مركباً ، ثم ترادفت الكتب من تلك السواحل بأخبارهم ، وأنهم قد أضروا بها ، ووصلوا إلى بسيط أشبونة ، فخرج إليهم المسلمون ، ودارت بينهم حرب ، واستشهد فيها من المسلمين وقتل فيها من الكافرين ، وخرجت أسطول إشبيلية ، فاقتحموا عليهم بوادي شلب ، وحطموا عدة من مراكبهم ، واستنفذوا من كان فيها من المسلمين ، وقتلوا جملة من المشركين ، وانهزموا إثر ذلك خاسرين ، ولم تنزل أخبار الجوس تصل إلى قرطبة في كل وقت من ساحل الغرب ، إلى أن صرفهم الله تعالى)^(١).

وفي سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م قام المنصور بن أبي عامر (٣٦٦-٣٩٢ هـ / ٩٧٦-١٠٠١ م) بحملته الثامنة والأربعين على مدينة شنت ياقب Santiago de Compostela^(٢) وقرر أن يهاجمها من البر والبحر ، وكانت

(١) البيان المغرب، ٢/٢٣٩.

(٢) قال الحميري: شنت ياقوب (كنيسة عظيمة عندهم، وهي في ثغور ماردة، وهذه الكنيسة مبنية على جسد يعقوب الحواري، يذكرون أنه قتل في بيت المقدس وأدخله تلامذته في مركب، فجرى به المركب في البحر الشامي إلى =

استعداداته في البحر من قاعدة الأسطول في قصر أبي دانس حيث أمر ببناء المزيد من السفن لنقل الجيش وعندما فرغ منه انطلق الأسطول وهو يحمل صنوف الجيش من البحريين والمشاة وما يحتاجونه من الأقوات في البحر ودخل جليقية من نهر دويرة Rio El Duero حيث يلتقي هناك بقواته البرية ، وإلى ذلك أشار ابن عذاري بقوله: (وقد كان المنصور تقدم في إنشاء أسطول كبير في الموضع المعروف بقصر أبي دانس من ساحل غرب الأندلس ، وجهزه برجاله البحريين وصنوف المترجلين ، وحملت الأقوات والأطعمة والعدد والأسلحة ، استظهارا على نفوذ العزيمة ، إلى أن خرج بموضع يرتقال على نهر دويره ، فدخل في النهر إلى المكان الذي عمل المنصور على العبور منه ، فعقد هناك من هذا الأسطول جسراً بقرب الحصن الذي هناك ، ووزع المنصور ما كان فيه من الميرة على الجند ، فتوسعوا في التزود منه إلى أرض العدو ، ثم نهض يريد شنت ياقوب)^(١).

وفي سنة ٤٢٢ هـ/ ١٠٣٠م سقطت الخلافة الأموية في الأندلس وتقسمت البلاد إلى دويلات طوائف متناحرة بعد أن كانت جميع بلاد الأندلس من ثغر طرطوشة Tortosa في الشمال الشرقي إلى

= أن خرج به إلى البحر المحيط حتى انتهى به إلى موضع الكنيسة بساحل فيه فبنيت الكنيسة عليه وسميت باسمه فيقصد إليها من أفرنجة ومن رومة والقسطنطينية ليوم معروف جعل عيداً لها)، الروض المعطار، ص ٣٤٨.

(١) البيان المغرب، ٢/ ٢٩٥؛ ينظر أيضاً: الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٨؛ المقري، نفع الطيب، ١/ ٤١٤؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١/ ٥٥٩.

تغر لشبونة في الغرب تابعة إلى سلطة الدولة المركزية في قرطبة^(١) ،
ويبدو من بعض النصوص التي بين أيدينا أن صراعاً للسيطرة على
بعض مراكز غرب الأندلس حدث بين بني عباد^(٢) في اشبيلية وبني
الأفطس في بطليوس^(٣) ، وأن بني عباد تمكنوا في بداية الأمر من
إرسال قواتهم إلى هناك ، ويشير ابن الأثير إلى أن أبا القاسم محمد
بن عباد(٤١٤-٤٣٣ هـ/١٠٢٣-١٠٤١م) أرسل ابنه إسماعيل الذي
ووصل إلى لشبونة فملكها في حدود سنة ٤٣٠ هـ/١٠٣٨ م^(٤) ، وهذا
يعني أن مدينة قصر أبي دانس أصبحت ضمن أملاك بني عباد.
وبعد دخول المرابطين Almoravides, Los إلى الأندلس وقضائهم
على أمراء الطوائف ولاسيما دولة بني عباد أصبح غرب الأندلس
بأجمعه تحت سلطان المرابطين ولكنها كانت حقبة حرجة لأنها
شهدت ميلاد دولة البرتغال الحالية ففي عهد أمراء الطوائف(٤٢٢-
٤٨٤هـ/١٠٣٠-١٠٩١ م) استغل ملوك قشتالة Castilla حالة الترددي
والتمزق في الأندلس وعملوا على توسيع حدودهم لتشمل المناطق
جنوب نهر دويرة ذلك النهر الذي بقي فاصلاً طوال الحقبة السابقة ،

(١) المراكشي، المعجب، ٤٢/١.

(٢) حكم بنو عباد في اشبيلية من ٤١٤ - ٤٨٤ هـ/ ١٠٢٣ - ١٠٩١ م، ينظر: عنان،

دولة الإسلام في الأندلس، ٣١/٢ - ٥٩.

(٣) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٢٢٤.

(٤) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢٦٢؛ عنان، دولة الإسلام في

الأندلس، ٨٥/٢.

وقد تمكنوا من السيطرة على عدد من المدن الواقعة بين نهري دويرة وتاجة Roi Tojo حتى مدينة بورتو كالي (porto calle) الواقعة عند مصب نهر دويرة ، وقد جعل فرناندو الأول هذا القسم من مملكته ولاية مستقلة اسمها البرتغال نسبة إلى المدينة أعلاه وجعل عاصمتها قلمرية^(١) ، وشجع الأسبان على استيطانها بعد أن نكل بأهلها المسلمين وقتل وهجر العديد منهم^(٢).

وفي عهد الملك القشتالي الفونسو السادس (٤٥٨-٥٠٢ هـ/١٠٦٥-١١٠٩ م) كافأ الكونت ريمون البرجوني الذي جاء من فرنسا لمساعدته في معركة الزلاقة بعد سنة ٤٧٩ هـ/١٠٨٦ م أن جعله والياً على المنطقة ، وبعد وفاته خلفه في حكم الولاية ابن عمه هنري البرجوني والزوج الآخر لابنة الفونسو السادس غير الشرعية التي تدعى تيريزا وقد حكم زوجها البرتغال باعتباره تابعاً لقشتالة وحارب مع زوجته ضد المسلمين^(٣) ، وبعد وفاة هنري تولت زوجته تيريزا الوصاية على ابنها الفونسو هنريكيز حتى سنة ٥٠٣ هـ/١١٠٩ م حيث نصب أميراً على البرتغال ، وقد عمد الفونسو هنريكيز (وتسمية المصادر العربية ابن الرنق أو الرنك أو الريق)^(٤) إلى العمل على استقلال البرتغال من قشتالة وخاض معها قتالاً حتى تمكن من تحقيق هدفه حيث

(١) طه، دراسات أندلسية، ص ١٨٩ .

(٢) العليايوي، الحملات الصليبية، ص ٥٤ .

(٣) طه، دراسات أندلسية، ص ١٨٩ . السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٢٥٥ .

(٤) ينظر: طه، دراسات أندلسية، ص ١٩٠ .

أعلن نفسه ملكا على البرتغال سنة ٥٣٧ هـ/ ١١٤٢م^(١).

كان المرابطون يملكون بمحنة عصبية في ذلك الوقت ، ففي المغرب تعرضت جيوشهم إلى هزائم متكررة على أيدي الموحديين Almohades,Los^(٢) ، وفي الأندلس واجهوا ثورات عديدة منها ثورة أهل شرق الأندلس وأهل قرطبة ومالقة Malaga^(٣) ، ثم جاءت ثورة الجنوب الغربي للأندلس لتضع حداً لنفوذ المرابطين هناك ، وكان من زعماء الثورة في غرب الأندلس سيدراي بن عبد الوهاب بن وزير القيسي^(٤) الذي تمكن من التغلب على الساحل ومنها قصر أبي دانس ثم دخل في صراع مع أحد الثوار في غرب الأندلس وهو أحمد بن الحسين بن قسي^(٥) في شلب سنة ٥٤٠ هـ/ ١١٤٥م ، إلا أن الثائرين بعد

(١) مكي، البرتغال الإسلامية، ص ٢٦؛ عاشور، أوربا، ص ٥٤٨ وقد رجح تاريخ اتخاذه لقب ملك سنة ٥٤٠ هـ/ ١١٤٥ م.

(٢) السامرائي وآخرون، تاريخ المغرب، ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

(٣) انظر التفاصيل: السامرائي وآخرون، تاريخ المغرب العربي، ص ٢٧٦ - ٢٨١.

(٤) أبو محمد سيدراي بن عبد الوهاب بن وزير القيسي من ثوار غرب الأندلس ثم لجأ إلى الموحديين وحظي عندهم، وقد اعتمده ابن صاحب الصلاة في بعض كتابه ينظر: ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٦٨، ١٥٢؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/ ٢٧١ - ٢٧٢.

(٥) أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسي رومي الأصل نشأ بشلب وتصوف وادعى المهدوية وتسمى بالإمام وكسب الناس وسمى أتباعه المريدون وغلب على عدد من مدن غرب الأندلس وأعلن طاعة الموحديين الذي عينوه على شلب سنة ٥٤١ هـ/ ١١٤٦ م ثم ثار عليه أهل شلب وقتلوه سنة ٥٤٦ هـ/ ١١٥١ م، ينظر: ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/ ١٩٧ - ٢٠٠.

انضمامهما إلى الموحدين اتفقا على محاربة المرابطين وتمكنا من دخول إشبيلية^(١)، وعليه فقد دخلت مدينة قصر أبي دانس في طاعة الموحدين وكان واليها من قبلهم سيدراي بن وزير القيسي.

وفي رواية ابن عذاري أن القوات الموحدية عندما دخلت إلى غرب الأندلس دخل ابن وزير في طاعتهم بل وقدم لهم المساعدة العسكرية بقوله: (...)، ونهضوا منها إلى باجة، فأطاع سيدراي بن وزير وخرج إلى الموحدين فأدخلهم باجة على أئمن حال وطاع جميع أهل الغرب والجوف من الأندلس، ثم رحل أبو إسحاق براز^(٢) من باجة إلى مرتلة وأقام بها زمن الشتاء، ثم أمر سيدراي بن وزير أن يصل إلى مرتلة بجميع العسكر الذي إلى نظره فوصله بجميع ذلك من الفرسان والرجال وتحركوا منها إلى لبلبة، فتلقاهم يوسف بن أحمد البطروجي صاحبها، ومشى الجميع بعد ما طاع أهل طلياطة^(٣) وحصن القصر، ووصل الجميع إلى إشبيلية فحاصروها برا وبحرا ففتحها الله تعالى^(٤)، وعليه فقد دخلت مدينة قصر أبي

(١) ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/٢٧١؛ دندش، الأندلس في نهاية المرابطين

ومستهل الموحدين، ص ٧٠ - ٧٥ .

(٢) أبو إسحاق براز بن محمد المسوي أرسله الخليفة عبد المؤمن بن علي الموحدي للسيطرة على غرب الأندلس، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٥ .

(٣) ناحية بالأندلس من أعمال إستجة قريبة من قرطبة، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٩٢ .

(٤) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٥ .

دانس في طاعة الموحدين وكان واليها من قبلهم سيدراي بن وزير القيسي الذي دانت له بعض مدن الغرب الأندلسي أيضاً.

وفي سنة ٥٤٩ هـ/ ١١٥٤م ثار في مدينة لبله رجل يدعى علي الوهبي وحاصر قسبة الموحدين فيها فلما علم الوالي الموحد في إشبيلية بذلك سار إليه ففر الوهبي فيما عمل الوالي الموحد في على الإيقاع بأهالي لبله فحملهم ما حدث وقتل منهم أعداداً كبيرة ، أما الوهبي فقد لجأ إلى ثغر طيبة Tavira عند مصب نهر يانة Rio Guadiana وراسل ملك البرتغال ابن الرنك وهادنه ، وفي هذا الأثناء راسله أهل مدينة قصر أبي دانس ، ويبدو أن الأهالي قد سئموا من حكم سيدراي بن وزير فراسلوا علي الوهبي الذي تمكن من دخولها وطرده ابن وزير منها وبقي فيها مدة إلا أنهم ثاروا عليه فقتلوه ، وقد أشار ابن عبد الملك المراكشي إلى ذلك بقوله: (وبعد فرار الوهبي عن لبله سكن طيبة ، وأشعل هنالك نار الفتنة وداخل ابن الريق صاحب قلمرية فهادته على ما بيده ، واستماله أهل قصر أبي دانس إليهم فسار نحوهم ، وتأمّر فيهم مديدة^(١)).

أما سيدراي بن وزير الذي فرّ إمام الوهبي فقد عبر إلى المغرب مستنجداً بالموحدين ، وقد أشار إلى ذلك ابن عذارى بقوله: (وفي آخر هذه السنة-أي ٥٤٩ هـ/ ١١٥٤م- وصل ابن وزير إلى أمير المؤمنين وهنأه على ظهوره وغلبته وأخبره بتسلط العدو ابن الرنك على الثغور وملازمته لهم لقطع زروعهم والإغارة عليهم في بسائطهم

(١) الذيل والتكملة، ٣٦٩/١.

وشت شمل جميعهم فأمر بالكتب لهم بتأنيسهم وعدته بالنصر الذي كان يؤمله قبلهم ويستعده لغزو أعدائهم وبعد برفع ضرائبهم ونيل سرائهم وخاطب بذلك أهل باجة وأهل يابرة وكانت الكتب لهم بتاريخ الثالث والعشرين من محرم عام خمسين وخمسائة^(١).

وفي سنة أواخر ٥٥١ هـ/ ١١٥٦ م أرسل الموحدون بقواتهم نحو غرب الأندلس للقضاء على علي الوهبي فاتجهوا نحو طبيرة وحاصروه براً وبحراً ودام الحصار شهرين ثم وقع الصلح بين الجانبين على أن يخطب الوهبي للموحدين وكان ذلك في أول سنة ٥٥٢ هـ/ ١١٥٧ م^(٢).

ولم يشر ابن عذاري إلى مصير علي الوهبي ، إلا أن ابن عبد الملك المراكشي ذكر أن الوهبي قتل على أيدي أهل مدينة قصر أبي دانس بقوله: (وتأمر فيهم مُدَيِّدَةً ، ثم قَتَلَهُ اللهُ هنالك بأيديهم وكفى اللهُ شره)^(٣) ، والراجح أن مقتله كان بتدبير من سيدراي بن وزير حاكمها السابق والذي حصل على دعم الموحدين له عندما وفد على الخليفة عبد المؤمن بن علي(٥٢٤-٥٥٨ هـ/ ١١٢٩-١١٦٢ م) ، إلا أن القوات الموحدية آنذاك التي حاربت الوهبي عملت على التخلص من الثائرين في الساحل الغربي فدخلوا مدينة باجة وقصر أبي دانس ، وكان دخولهم قصر أبي دانس من دون مقاومة وهو ما أشار إليه ابن الأبار بقوله : إن سيدراي بن وزير القيسي تخلى عن

(١) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٥٣.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٥٦-٥٧.

(٣) الذيل والتكملة، ١/٣٦٩.

بلاده طوعاً^(١) ، وعين الموحدون والياً من قبلهم على مدن الغرب الأندلسي وهو يعقوب بن جبون الخزرجي (الhezرجي) ، وقد علق ابن عذاري على ذلك بقوله: (...استولى على بلاد ابن وزير وقدم على شلب وبلاد الغرب يعقوب بن جبون الhezرجي والحفاظ المتوجهون معه فكمل القبض من بلاد ابن وزير والعزل بأبدع تدبير)^(٢).

وذهب عنان إلى أن عزل ابن وزير تم بطلب من وفد أرسله أشياخ بلاد ابن وزير (باجة وقصر أبي دانس) إلى قائد الجيش الموحدى عندما كان محاصراً الوهيبى في طبيرة وتعيين حاكم موحدى لبلادهم^(٣) ، وقد أشار إلى هذا الوفد ابن عذاري ولكنه لم يذكر سبب الوفاة^(٤) ، ولكن رواية ابن عبد الملك المراكشى أعلاه أشارت إلى أن مقتل الوهيبى كان بيد أهالي قصر أبي دانس^(٥) ، وأن الوالى عليها وبقية بلاد الغرب قبيل دخول الموحدى إليها كان سيدراى بن وزير حسب رواية ابن الابار^(٦) ، وهو ما يرجح ما ذهبنا إليه من أن مقتل الوهيبى كان بتدبير من ابن وزير ، وأن مهمة الوفد ربما كانت لتنفيذ ذلك التدبير.

(١) الرحلة السیراء، ٢/٢٧١.

(٢) البيان المغرب، قسم الموحدىن، ص ٥٧.

(٣) دولة الإسلام في الأندلس، ٣/٣٤٨.

(٤) البيان المغرب، قسم الموحدىن، ص ٥٧.

(٥) الذيل والتكملة، ١/٣٦٩.

(٦) الرحلة السیراء، ٢/٢٧١.

سقوط مدينة قصر أبي دانس

١ - الاحتلال البرتغالي الأول سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م:

بقيت مدينة قصر أبي دانس تدار مباشرة من قبل ولاية الموحدين حتى سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م عندما تغلب عليها البرتغاليون^(١) بقيادة الفونسو هنريكيز بعد أن حاصروها مدى شهرين من البر والبحر ، وكان سقوطها في ٢٤ يونيو من العام المذكور^(٢).

وكان لاحتلال النصارى قصر أبي دانس أن أصبح قاعدة يُشن منها الغارات على بقية مناطق غرب الأندلس ولاسيما مدينة باجة القريبة منها ، ففي سنة ٥٥٧ هـ / ١١٦١ م هاجموا المدينة واستولوا عليها ومكثوا فيها أربعة أشهر ثم انسحبوا منها بعد أن خربوها وهدموا أسوارها^(٣) ، ثم أعادوا الكرة عليها سنة ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م ودخلوها بعد أن فرّ عاملها الموحدى المدعو عمر بن سحنون وقتلوا وأسروا الكثير من أهلها ثم غادرها بعد خمسة أشهر بعد أن تركها قاعاً صنفصفاً وهاجر

(١) ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/٢٧٣.

(٢) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤/٢٥.

(٣) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤/٢٥.

معظم أهلها في أعقاب هذه الحادثة^(١) ، ويعزو ابن عذاري سبب ما حلّ في باجة ومدن الساحل الغربي من نكبات إلى خلع سيدراي بن وزير والي قصر أبي دانس وبقية مدن الساحل ومجيء ولاية غير كفوين من الموحدين مثل عمر بن تيمصلت التينملي الذي شجع النزاع بين أعيان المنطقة فطعنوا عليه وعزلوه فولّى الموحدون والياً آخر من البربر يدعى عمر بن سحنون الذي وصف بأنه أشأم طالع ، فظلم الناس وأخذ الأموال وسفك الدماء وقتل العديد من الأعيان ، وهو ما دفع أعيان باجة وعلى رأسهم بنو الوزير رهط الوالي السابق سيدراي بن وزير إلى الطلب من الخليفة الموحدي بترك البلاد والخروج إلى إشبيلية ، ثم رفع سيدراي بن وزير إلى الخليفة يعزو فيها ما حدث في باجة والساحل إلى ابن سحنون فأمر الخليفة بقتله إلا أنه فرّ ولم يقبض عليه^(٢).

وبعد انسحاب النصارى من باجة أعيد عليها عمر بن تيمصلت ، وحاول الأخير في سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧م طرد النصارى من مدينة قصر أبي دانس فأغار عليها بقواته وبمساعدة بعض أعيان بني وزير ، وعندها وصلت إمدادات للقوات البرتغالية النصرانية المتمركزة في قصر أبي دانس ودارت معركة عنيفة بين الفريقين انهزم فيها المسلمون وأسر ابن تيمصلت وأحد أعيان بني وزير وهو علي بن وزير ، ثم قتلوا ابن تيمصلت وقام الخليفة أبو يعقوب

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٢٧.

(٢) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٢٨- ١٢٩.

يوسف الموحيدي بدفع فدية عن ابن وزير^(١).

بقيت مدينة قصر أبي دانس بيد البرتغاليين حتى جماد الأولى من سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م عندما عزم الخليفة المنصور الموحيدي (٥٨٠-٥٩٥هـ /١١٨٤-١١٩٨م) على استرجاعها من أيدي نصارى البرتغال ، فحشد لها قوات من البر والبحر وبعد معركة كبيرة حدثت بين الجانبين تمكنت القوات الموحيدية من اقتحام المدينة عندها طلبوا الأمان فحملوا في المراكب وأرسلوا إلى إشبيلية ، ثم عمل الخليفة المنصور على إصلاح حال المدينة وشحنها بالمقاتلة والمؤن وعين عليها أبا بكر محمد بن سيدراي بن وزير ، وهو ابن حاكمها السابق قبل سقوطها سنة ٥٥٥هـ /١١٦٠م ، وقد علق ابن عذاري على معركة استعادة قصر أبي دانس بقوله: (...، كان الحلول على قصر أبي دانس وتقسمت الحشود وترتبت الجنود ، وأهل الخدمة من العبيد يردمون خندق المدينة من جهاتها الأربع وطوائف من المقاتلة الأنجاد قد زحفوا إلى السور يستعذبون طعم المنايا ، ويبيعون من الله أنفسهم بالرزايا ، ولما عاين المنصور صبر المسلمين على القتال ، وقد كثرت فيهم الجراحات بالحجارة والنبال ، روح القتال ثلاثة أيام ، وقصد تجديد الفكر والاعتزام ، وانتظار ما كان أعده لذلك المقام ، إلى أن وصلت الأجفان البحرية العدد الحربية وقد تسابقت لدخول الوادي بتيسير تعجز العقول عن تكييفه ويشكر التقدير سبحانه على أحكامه وتصريفه فبهت الذي كفر ، وسقط في أيدي

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٤٣- ١٣٥؛ عنان، دولة

الإسلام في الأندلس، ٩٧/٤- ٩٨

المشركين من كل من ألقى السمع والبصر ، فنصبت في يوم وليلة أربعة عشر منجنيقاً إذ كانت معدة بعد الفراغ من عملها فأحرق منها بالبلد مينايا زاحفة وصواعق صاعقة ، ولما كان الخامس عشر لجمادي الأولى أمر الجيش بأسره بأخذ الأسلحة ونشر القتال عليهم من كل الجهات ، ورمى المجانيق مرة واحدة على مر الأوقات فاشتد القتال وتضاعف عليهم النكال ، ولما رأوا أنفسهم في لهوات المنون ، وأنهم مع ما لديهم من أهل ومال في بحر القوات مغرقون ، تطارحوا كالفراش على الأسوار ، ورضوا بالفرار من الرضاء إلى النار ، ونزلوا على الحكم مستسلمين لائذين بما للخليفة من الأجمال والأفضال وهبطوا من البلد صاغرين ، وانسلخوا عنه أجمعين فأودعوا بطون الجوار المنشآت ، وضحكت لمناجاتهم كتب البشارات ، وحملوا إلى إشبيلية فكانوا عنوان الفتوحات ، وشرع المنصور في النظر في أمور الحصن وأحواله ، وصالح ما ظهر من اختلاله ، وثقله بأنجاد رجاله ، ورسم لسكانه رسوماً مشاهرة ومساهنة في مخازن إشبيلية وسبته على الاستمرار والدوام ، والتيسير والتمام ، وقدم على الحصن المذكور ابن وزير^(١).

وذهب ابن أبي زرع إلى أن الذي استرد قصر أبي دانس وبقية مدن غرب الأندلس الأخرى من النصارى هو والي قرطبة الموحدى محمد بن يوسف بقوله: (في سنة ست وثمانين دخل النصارى مدينة شلب ومدينة باجة ويابورة من بلاد غرب الأندلس ، وذلك لما علموا

(١) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢١٠ - ٢١١؛ ينظر أيضاً: ابن الأبار،

الحلة السيرة، ٢/٢٧٣؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤/١٨٦ - ١٨٧.

أن المنصور قد بعد عنهم واشتغل بإفريقية ، فاعتنوا الفرصة فاتصل الخبر بالمنصور ، فاستعظم ذلك وغازه ، وكتب إلى قواد الأندلس يوجههم ويأمرهم بغزو بلاد الغرب ويعلمهم أنه قادم عليهم في إثر كتابه ، فاجتمع قواد الأندلس إلى محمد بن يوسف والي قرطبة ، فخرج بهم في جيش عظيم من الموحدين والعرب والأندلس حتى نزل شلب فحاصرها وشد عليها القتال حتى فتحها وفتح قصر أبي دانس ومدينة باجة وبابورة ورجع إلى قرطبة ، فدخلها بخمسة عشر ألف سبية وثلاثة آلاف أسير من الروم ، وأدخلهم في القطائن بين يديه ، وجعل خمسين علجاً في كل قطينة ، وذلك في شوال سنة سبع وثمانين وخمسمائة^(١) ، وعلق عنان على هذه الرواية بقوله: وهي رواية ظاهرة الضعف والخلط ، خصوصاً وأنها تغفل ذكر المنصور بالمرّة وتنسب لغيره قيادة هذه الغزوة^(٢).

وبذلك فقد عادت مدينة قصر أبي دانس إلى الدولة الموحدية بعد أن بقيت بيد نصارى البرتغال خمساً وثلاثين سنة كما أعيد إلى حكمها ولاتها السابقون من بني وزير.

استمر أبو بكر محمد بن سيدراي بن وزير حاكماً على قصر أبي دانس وتابعاً للموحدين وأبدى تعاوناً معهم ، ففي عهد الناصر الموحدي (٥٩٥-٦١٠هـ/١١٩٨-١٢١٣م) دعا الخليفة إلى حملة كبرى ضد بلاد قشتالة فلبى الدعوة صاحب مدينة قصر أبي دانس أبو بكر

(١) الأنيس المطرب، ص ٢١٩؛ ينظر أيضاً: السلاوي، الاستقصا، ١٨٤/٢.

(٢) دولة الإسلام في الأندلس، ١٨٩/٤.

محمد بن سيدراي واشترك مع القوات الموحدية بقيادة الناصر في موقعة العقاب Las. Navas de Tolosa^(١) سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م وعقب الهزيمة التي حلت بالقوات الموحدية توفي أبو بكر محمد بن سيدراي كمدأً وقد علق ابن الابار على ذلك قائلاً: (وأقام والياً عليه ساميَ الرتبة ناميَ الحظوة ، إلى أن توفي في صدر المائة السابعة بعد حضوره لوقعة العقاب)^(٢).

وبعد وفاته تولى قصر أبي دانس والثغر الغربي ابنه أبو محمد عبدالله بن محمد بن سيدراي بن وزير القيسي^(٣) ، ولم ينعم ولم تطل مدته ، فقد تغير ميزان القوى في الأندلس ، ولم يعد في مقدور الدولة الموحدية حماية الثغور الأندلسية من هجمات النصارى ، فكانت موقعة العقاب ضربة قاضية ، لقوى الموحدين في الأندلس والمغرب ، ولم يمحض على وقوعها سوى أعوام قلائل حتى انهار سلطان الموحدين بالأندلس ، وأخذت قواعد الأندلس الكبرى تسقط تباعاً في أيدي النصارى في وابل من الحن المؤلمة^(٤).

٢- السقوط النهائي للمدينة بيد البرتغاليين سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م بالنسبة للغرب الأندلسي كانت أولى النكبات التي حلت بهم بعد موقعة العقاب هي سقوط قصر أبي دانس بيد البرتغاليين وبمساعدة

(١) وهو موضع يقع بين جيان وقلعة رياح، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٤١٦.

(٢) الرحلة السيرة، ٢/٢٧٣.

(٣) ابن الابار، الرحلة السيرة، ٢/٢٩٥.

(٤) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣/٢٨.

قوات صليبية ، وكانت لمناعة مدينة قصر أبي دانس وحصانتها أن وقفت سداً في وجه تقدم البرتغاليين جنوباً^(١) ، ولكن بعد هزيمة الموحدين في موقعة العقاب وانقسامهم أخذ الملك البرتغالي الفونسو الثاني(٦٠٨-٦٣٠هـ/١٢١١-١٢٢٣م) يعد العدة لغزو مدينة قصر أبي دانس لما تشكله من عقبة في طريقه إلى الجنوب ، ووافق في ذلك أن رست قوة صليبية قادمة من أوروبا ومتجه إلى فلسطين في ميناء لشبونة للتزود بالموثون وإصلاح ما فسد من سفنهم ، وكان الأسطول الصليبي يتكون من ثلاثمائة سفينة محملة بمقاتلين ألمان ، فعرض عليهم الملك البرتغالي المشاركة معه في حملة ضد المسلمين فاستجاب معظم رجال القوة الصليبية للدعوة رغبة بالغانائم العظيمة التي مناهم بها الملك البرتغالي ، فساروا جميعاً بقيادة الفونسو الثاني نحو قصر أبي دانس وضربوا عليه الحصار وذلك في أوائل سنة٦١٤هـ/١٢١٧م^(٢).

عندها أرسل حاكمها أبو محمد عبد الله بن وزير يطلب النجدة من الموحدين فبعث الخليفة المستنصر الموحدي(٦١٠-٦٢٠هـ/١٢١٣-١٢٢٣م) إلى ولاية الموحدين في قرطبة وجيان Jaen وإشبيلية وبقية مدن غرب الأندلس بالإسراع لنجدة قوات قصر أبي دانس ، فسارت الجيوش الموحدية براً فيما سارت قوات أخرى بجزراً لفك الحصار عن المدينة ، ودارت حول مدينة قصر أبي دانس معركة

(١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣٣٨/٤.

(٢) أشباخ، تاريخ الأندلس، ص٤٥٠-٤٥١؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس،

كبيرة انهزم فيها المسلمون ، وأرجع ابن الأبار سبب الهزيمة بقوله : نازل الافرنج قصر أبي دانس (وتغلبوا عليه في جماد الأولى سنة أربع عشرة وستمائة ، بعد وقعة هناك فقد فيها الآلاف من المسلمين ، بتخاذل رؤسائهم يوم التقى الجمعان)^(١) ، وعزا ابن زرع هزيمة المسلمين إلى ما حلّ بهم من الرعب والخذلان بعد هزيمة العقاب بقوله: كان العدو قد نزل (قصر أبي دانس وحاصره فخرج جيش إشبيلية وجيش قرطبة وجيش جيان وجنود بلاد غرب الأندلس بأمر أمير المؤمنين يوسف المنتصر-المستنصر- لاعاته واستنقاه فساروا نحوهم فلم تجتمع العين بالعين إلا والمسلمون قد خامر قلوبهم الرعب وولوا الأدبار وأخذوا في الفرار لما سبق لهم من الرعب في هزيمة العقاب ، لأن العدو كان قد تكالب وقوى واستأنس ، فركبهم بالسيف وقتلوهم عن آخرهم ورجع الفونسو الثاني ملك البرتغال إلى قصر أبي دانس فحاصره حتى دخله بالسيف فقتل كل من به من المسلمين)^(٢).

كما علق الحميري على الهزيمة بقوله: (كانت الوقعة على المسلمين للروم في سنة أربع عشرة وستمائة ، وأعانهم أهل الأشبونة وغيرها من مملكة ابن الرنق ، فأخذوا في نقب الأرض تحت الحصن إلى أن أفضوا إلى السور ، وأفضى الناس إلى الهلكة ، وبلغ الأمر إلى الولاة الذين في غرب الأندلس: اشبيلية وقرطبة وجيان فتجهزوا لدفاع العدو ، وجاء منهم جيش عظيم لكنهم تخاذلوا على عاداتهم ،

(١) الحلة السیراء، ٢/٢٩٥.

(٢) الأنيس المطرب، ص ٢٤٢ - ٢٤٣؛ ينظر أيضاً: السلاوي، الاستقصا، ٢/٢٢٧.

فكانت الهزيمة عليهم وولوا منهزمين ، ووقع القتل والأسر ولم يبرز للمسلمين من الروم إلا نحو سبعين فارساً ، ورأى أهل الحصن ذلك فأيقنوا بالتغلب عليهم^(١).

وقد عزا النصارى سبب انتصارهم إلى المشيئة الإلهية قال أشباح: ونسب النصارى نصرهم في تلك الموقعة إلى معونة فرقة من الملائكة في صفة الفرسان كانوا يقاتلون إلى جانبهم في ثياب بيض^(٢).

بعد هزيمة الجيوش الموحدية تحصن حاكم مدينة قصر أبي دانس داخل حصن المدينة فحضر الفونسو الثاني عليه الحصار وعلى الرغم من شدة الهجوم إلا أنه تمكن من المقاومة ، فلما رأى النصارى عدم تمكنهم من اقتحام الأسوار نصبوا برجين عاليين وضربوا المدينة من هاتين الجهتين فلما أيقن ابن وزير وقواته أن لا أمل بالصمود بسبب تفرق القوات الموحدية عنه عرض عليهم التسليم على أن يخرج أهل المدينة بأموالهم فرفض النصارى ذلك ووافقوا أن يسمحوا لهم بالخروج أحياء من دون أن يحملوا شيئاً ، وسلمت المدينة بعد شهرين ونصف من بدء الحصار ، وسلم قائدها وهو عبد الله بن وزير نفسه للنصارى ، وتظاهر باعتناق النصرانية طلباً للسلامة ولكنه تمكن بعد أيام من الفرار ، ولجأ فيما بعد إلى مدينة إشبيلية ، ودخل النصارى على مدينة القصر أو قصر أبي دانس ، وقتلوا كل من كان فيها من المسلمين^(٣).

(١) الروض المعطار، ص ٤٧٥.

(٢) تاريخ الأندلس، ص ٤٥١.

(٣) ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/٢٩٥؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤/٣٤٠.

أما عن تاريخ هذه الواقعة فإن ابن أبي زرع ذكر أن هزيمة الجيوش الموحدية كانت سنة ٦١٤هـ/ ١٢١٧م أما دخول البرتغاليين لحصن المدينة فكان سنة ٦١٥هـ/ ١٢١٨م^(١) ، فيما ذكر ابن البار أن الهزيمة الأولى كانت في أحد الربيعين من سنة ٦١٤هـ/ ١٢١٧م^(٢) ، ودخول حصن المدينة وأسر قائدها ابن وزير كان في جمادي الأولى سنة ٦١٤هـ / ١٢١٧م^(٣) ، فيما ذهبت الرواية النصرانية إلى أن الواقعة كانت في ١٠ سبتمبر ٦١٤هـ / ١٢١٧م ، وبعد ستة أسابيع تمكنوا من دخول الحصن أي في ٢١ أكتوبر ١٢١٧م^(٤) .

كانت خسائر المسلمين فيها كبيرة جداً وصداها واسعاً وذلك لأهمية موقع مدينة قصر أبي دانس كونها ثغر حال دون تقدم البرتغاليين نحو الجنوب ، فذكر ابن البار أن المسلمين فقدوا فيها الآلاف قال: (وهي إحدى الكوائن المنذرة حينئذ بما آل إليه أمر الأندلس الآن)^(٥) ، وذكر ابن أبي زرع أن العدو قتل من المسلمين في قصر أبي دانس أمم لا تحصى^(٦) ، كما وصفها بأنها (من الهزائم الكبار التي تقرب من هزيمة العقاب)^(٧) ، وقال في مكان آخر: (هزم

(١) الأنيس المطرب، ص ٢٤٣، ٢٧٣؛ الذخيرة السنية، ص ٥٠، ٥١ .

(٢) التكملة، ١٠٧/٢؛ ينظر أيضاً: ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة،

٤٥١/٤ .

(٣) الرحلة السيرة، ٢٩٥/٢ .

(٤) أشباخ، تاريخ الأندلس، ص ٤٥١ .

(٥) الرحلة السيرة، ٢٩٥/٢ .

(٦) الأنيس المطرب، ص ٢٧٣ .

(٧) الأنيس المطرب، ص ٢٤٢ .

المسلمون بقصر أبي دانس من بلاد غرب الأندلس واستشهد في هذه الكائنة من المسلمين ما يزيد على ستة عشر ألفاً^(١) ، والغريب أن ابن عذاري على الرغم من اهتمامه بأخبار الموحدين وشهرة هذا الحدث إلا أنه عندما أتى على أحداث سنتي ٦١٤ - ٦١٥هـ/ ١٢١٧ - ١٢١٨م قال: (ولم أتحقق خبراً أذكره في سنة أربع عشرة وخمس عشرة)^(٢).

ولأهمية مدينة قصر أبي دانس بالنسبة للأندلس فقد شارك في الدفاع عنها عدد من العلماء الذين استشهدوا في تلك الواقعة منهم : المحدث محمد بن عبد النور بن أحمد الشيباني الإشبيلي المكنى أبا بكر ، كان صالحاً زاهداً متواضعاً ، وكان كثيراً ما يحضر الغزوات ويولي فيها البلاء الحسن^(٣) ، كذلك المحدث أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري الإشبيلي كان محدثاً خيراً فاضلاً خرج مجاهداً واستشهد في وقعة قصر أبي دانس سنة ٦١٤هـ/ ١٢١٧م^(٤).

(١) الذخيرة السننية، ص ٥٠.

(٢) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٦٦.

(٣) ابن الأبار، التكملة، ١٠٧/٢؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة،

٤٤٩ - ٤٥١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٢١/١٣.

(٤) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٥٤٦/١.

مدینة قلمریة Coimbra الأندلسیة

(٩٥- ٤٥٦ هـ / ٧١٣- ١٠٦٣ م)

الجغرافية التاريخية لمدينة قلمرية Coimbra

ورد اسم المدينة في المصادر بألفاظ مختلفة بعض الشيء ، فجاءت بلفظ (قلمرية أو قلمرية أو قلمورية)^(١) ، وتقع في غرب الأندلس^(٢) قرب المحيط الأطلسي إذ تبعد عنه اثنا عشر ميلاً^(٣) ، كما تعد ضمن الثغر الأدنى الأندلسي الذي يشمل المنطقة الواقعة بين نهري دويرة Rio El Duero وتاجة Rio Taja ، ومن مدن هذا الثغر هي قورية^(٤) Coria وقلمرية وشنترين^(٥) Santarem

-
- (١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠١؛ ابن حيان، المقتبس، (للحقبة ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م)، ص ٤٣؛ العنزي، نصوص عن الأندلس، ص ٨٠؛ البكري، المسالك والممالك، ٨٩٢/٢؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٤٧/٢؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٣٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٦٤/٤؛ أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ١٨٥.
 - (٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٧٢٦/٢.
 - (٣) الحميري، الروض المعطار، ص ٤٧١؛ والميل يساوي ٢ كم، ينظر: هنتس، المكابيل والأوزان الإسلامية، ص ٩٥.
 - (٤) وهي من مدن غرب الأندلس، وتعد من أحصن المعاقل، ولها سور منيع، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٤٧/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٨٥.
 - (٥) مدينة تقع غرب الأندلس تتصل بأحواز مدينة باجة وتبعد عن بطليوس أربعة مراحل، وتتميز بحصانتها، ينظر: ابن غالب، فرحة الأندلس، ص ٢٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٦.

وماردة Merida^(١)^(٢).

وضع البكري مدينة قلمرية في الجزء الخامس ، إذ قسم الأندلس إلى ستة ولايات ، والجزء الخامس يشمل اثنتي عشر مدينة بما فيها مدينة قلمرية وهي: ((باجة^(٣) ومدينة أكشونبة^(٤) ومدينة صيوتلة^(٥) وبابرة^(٦) وشنتررة^(٧) وشنترين والأشبونة^(٨) وقلنبرية وقورية وشلمنقة^(٩)

-
- (١) مدينة أندلسية تقع بجوية قرطبة منحرفة إلى الغرب قليلاً، وفيها آثار كثيرة، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٥١٨.
- (٢) البكري، المسالك والممالك، ٨٩٢/٢.
- (٣) مدينة تقع غرب الأندلس، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢١؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٧٥.
- (٤) مدينة تقع غرب الأندلس، وتتصل بأحواز مدينة أشبونة، ولها عدة حصون وأقاليم، واشتهرت بكثرة خيراتها وثمارها، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٢.
- (٥) لم نجد لها ترجمة.
- (٦) مدينة تقع غرب الأندلس وتعد من كورة باجة، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٦١٥.
- (٧) مدينة تقع غرب الأندلس على مقربة من البحر، وتعد من توابع أشبونة، واشتهرت بكثرة التفاح، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٧.
- (٨) وتلفظ أيضاً لشبونة، وهي من مدن غرب الأندلس على المحيط الأطلسي، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٦١.
- (٩) ويطلق عليها أيضاً ظلمنكة تقع في الثغر الأعلى الأندلسي وتعد من أعمال مدينة وادي الحجارة وبينهما عشرين ميلاً، ينظر: ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ٤٢/٢؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٩١.

وصمورة^(١)،...))^(٢).

في حين أشار الإدريسي لموقع مدينة قلمرية بقوله: ((الإقليم الخامس تضمن قطعة من شمال الأندلس فيها بلاد جليقية^(٣) وبعض قشتالة^(٤)،...، وبعض بلاد غشكونية^(٥) من أرض الإفرنج، فأما بلاد برتقال^(٦) فمنها مدينة قلمرية،...، وبحر الظلمات^(٧)،...،

(١) وتلفظ أيضاً سمورة وزمورة مدينة أندلسية تعد من مملكة الجلائقة، وتقع على ضفة نهر كبير، وبينها وبين البحر ستون ميلاً، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٣٢٤.

(٢) المسالك والممالك، ٢/٨٩٢.

(٣) تقع جليقية في أقصى الشمال الغربي من شبه جزيرة أيبيريا، وتحاذي حدودها من جهة الغرب سواحل المحيط الأطلسي وخليج بسكاي من جهة الشمال وتجاورها من جهة الشرق حدود بلاد البشكنس الغربية ومدينة ليون، ومن أشهر مدنها مدينة شنت ياقب، وللك، وأشتوريس، واييط، وأقش، وغيرها، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ١٦٩.

(٤) ذكرها الحميري بقوله: (عمل من الأعمال الأندلسية قاعدته قشتالة، سمي العمل بها، وقالوا: ما خلف الجبل المسمى الإشارات في جهة الجنوب يسمى أشبانيا، وما خلف الجبل من جهة الشمال يسمى قشتالة)، الروض المعطار، ص ٤٨٢.

(٥) وهي منطقة تقع في الجنوب الفرنسي، ينظر: العليايوي، البشكنس، ص ١١١.

(٦) قال البكري: برتقال مدينة بالأندلس تقع عند مصب نهر أنه على البحر المحيط، المسالك والممالك، ١/١٨٠، وقال الإدريسي: البرتقال بلاد تضم عدة مدن وعرض أراضيها مسيرة يوم، نزهة المشتاق، ٢/٧٢٥، ٧٣١.

(٧) هو المحيط الأطلسي، وتوجد فيه عدة جزر كبيرة، ينظر: البكري، المسالك والممالك، ١/٢٠٢ - ٢٠٣.

ويجاور شنترة ولشبونة من بلاد إشبانية مدينة قلمرية (...))^(١).
وعليه فإن مدينة قلمرية تعد من بلاد البرتغال Portugal ، وقد
وصف الإدريسي البرتغال بقوله: ((وبرتقال أرض معمورة بالقرى
والحصون والعمارات المتصلة وبها خيل ورجال حراة يغيرون على
من جاورهم ولا يستضاء بنارهم))^(٢).
وتبعد مدينة قلمرية عن مدينة قورية أربعة أيام^(٣) ، وبين قلمرية
وشنترين ثلاث مراحل^(٤) ، كما أن قلمرية تقع إلى الشرق من
مدينة شلمنقة Salamanca إذ المسافة بينهما مرحلتان^(٥).
كما أن هناك عدة طرق تربط مدن الأندلس بمدينة قلمرية ، وقد
أشار الاضطخري إلى ذلك بقوله: ((من قرطبة^(٦) إلى إشبيلية^(٧) إلى باجة

(١) نزهة المشتاق، ٧٢٥/٢ - ٧٢٦.

(٢) نزهة المشتاق، ٧٢٦/٢.

(٣) الحميري، الروض المعطار، ص ٤٧١.

(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٧٢٦/٢، والمرحلة تساوي أربعة وعشرين ميلاً،
ينظر: الشرييني، مغني المحتاج إلى معرفة أفاض المنهاج، ٥٢٢/١.

(٥) ابن سعيد، الجغرافية، ص ١٨٧؛ أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ١٨٥.

(٦) تعد قرطبة قاعدة الأندلس وأهم مدنها وعاصمتها لمدة طويلة، وكانت
تجبي إليها كل جهات الأندلس لكونها دار ملكها، ينظر: الإدريسي، نزهة
المشتاق، ٥٧٤/٢ - ٥٨٠؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٦ - ٢٧؛ الحميري،
الروض المعطار، ص ٤٥٦ - ٤٥٩.

(٧) مدينة أندلسية بناها يوليوس قيصر تبعد عن قرطبة ثمانين ميلاً، ينظر:
الحميري، الروض المعطار، ص ٥٨ - ٦٠؛ أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ١٧٥، ١٧٤.

إلى ماردة إلى قورية إلى قلمرية إلى مدينة شتيرين العظمى ،...))^(١).
كما تحدث الإدريسي عن الطريق بين قلمرية وشتنت
ياقوب Santiago de Compostela^(٢) بقوله: ((والطريق من قلمرية
إلى شنت ياقوب وذلك إن شتته في البحر سرت من حصن منت
ميور إلى موقع نهر بوغو سبعين ميلا وهو أول أرض برتقال ،...))^(٣).
إن موقع المدينة القريب من البحر (المحيط الأطلسي) قد جعل
بعض الأنهار من الشرق تنحدر نحو أراضيها ، ومنها نهر منديق
الذي أشار إليه الإدريسي بقوله: ((... ، وهي على نهر يسمى نهر
منديق وهو يجري منها في شريقها ،...))^(٤).

(١) المسالك والممالك، ص ٤٧.

(٢) قال الإدريسي عن مدينة شنت ياقوب وكنيستها: (...، وهذه الكنيسة مشهورة
مقصود نحوها محجوج إليها، والروم يأتونها من جميع الأقطار يحجون إليها،
وليس بعد كنيسة بيت المقدس كنيسة أعظم منها، وهي تضاهي كنيسة
قمامة في حسن البناء وسعة الفناء وكثرة الأموال والصدقات، وفيها من صلبان
الذهب والفضة المرصعة بأنواع أحجار الياقوت الملونة والزبرجد وسائر ذلك ما
يشف عدده على ثلاث مائة صليب مصوغ بين كبير وصغير، وفيها من الإقونات
المصوغة من الذهب والفضة نحو مائتي إقونة، ويخدمها مائة قسيس غير ما لهم
من الأتباع والخدام، وهذه الكنيسة مبنية بالحجر والجيار إفراغاً، وقد أحاطت
بها ديار يسكنها القسيسون والرهبان والدياقينون والشمامسة والداوديون، وبها
أسواق وبيع وشراء، ويحيط بها قريياً منها وبعيداً قرى كبار كالمدن فيها البيع
والشراء وفيها من الخلق أعداد لا تحصى)، نزهة المشتاق، ٧٢٨/٢.

(٣) نزهة المشتاق، ٧٢٦/٢.

(٤) نزهة المشتاق، ٧٢٦/٢.

ومن الأنهار الأخرى نهر تاجه الذي يخرج من بلاد جليقية Galicia والأفرنجية^(١)، ويكون منبعه من جبل بناحية تطيلة Tudela^(٢) يعرف بجبل الشارة من عين ماء في موضع يعرف بالبيضة ويصب في البحر المحيط (البحر الأطلسي) بين مدينتي قلمرية وبرتقال^(٣).

ومن الأنهار التي تمر بالقرب من مدينة قلمرية نهر دويرة، أشار إلى ذلك مؤلف مجهول بقوله: ((...، فيخرج من جبال البريرة من جليقية، فيمر على شنت برية^(٤) وجزيرة شقر، ومصبه في البحر الغربي المحيط فيما بين قلمرية وبرتقال، وعدد أمياله خمسمائة ميل وثمانون ميلاً))^(٥).

ويبدو أن وجود الأنهار ساعد على قيام الزراعة لاسيما الفاكهة كالكرام والتفاح^(٦)، كما ساعد على ابتكار الأرحاء، وهي آلة تدار

(١) المسعودي، مروج الذهب، ١١٠/١.

(٢) إحدى مدن الثغر الأعلى الأندلسي وتقع شمال مدينة سرقسطة وتبعد عنها خمسين ميلاً وتتصل بأعمال وشقة، ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص ١٩٥؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٧٣٣/٢.

(٣) البكري، المسالك والممالك، ٢٣٩/١ - ٢٤٠؛ شيخ الریوة، نخبة الدهر، ص ٣٢٤؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٤٨؛ وينظر: المياح، أوربا في كتب البلدانين العرب المسلمين، ١٦١/١.

(٤) مدينة أندلسية تعد من أعمال طليطلة وتقع شرقي قرطبة وتتصل بأحواز مدينة سالم، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٩؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٧١.

(٥) تاريخ الأندلس، ص ٤٨ - ٤٩.

(٦) الحميري، الروض المعطار، ص ٤٧١.

بالماء لطحن الحبوب عند هبوب الرياح^(١) ، وقد علق الحميري على ذلك بقوله: ((... ، وهي على نهر عليه أرحاء...))^(٢) ، في حين أشار الإدريسي إلى ذلك بقوله: ((... ، ولها على النهر أرحاء...))^(٣) .

كما اشتهرت مدينة قلمرية بالثروة الحيوانية ، وقد أشار إلى ذلك الإدريسي بقوله: ((... ، ولها أغنام ومواش وأهلها أهل شوكة في الروم))^(٤) ، كما أشار من موضع آخر إلى الثروة الحيوانية في جبل الشارات Sierra Morena المطل على مدينة قلمرية بقوله: ((وعلى بعد منها في الجهة الشمالية الجبل العظيم المتصل المعروف بالشارات وهو يأخذ من ظهر مدينة سالم^(٥) إلى أن يأتي قرب مدينة قلمرية في آخر المغرب وفي هذا الجبل من الغنم والبقر الشيء الكثير الذي يتجهز به الجلابون إلى سائر البلاد ولا يوجد شيء من أغنامه وأبقاره مهزولاً بل هي في نهاية من السمن ويضرب بها في ذلك المثال في جميع أقطار الأندلس...))^(٦) .

كما تحدثت المصادر عن حصانة مدينة قلمرية وأبوابها إذ علق

(١) مجهول، تاريخ الأندلس، ص ١٣١ - ١٣٢؛ المقرئ، نضح الطيب، ٢٠٢/١ .

(٢) الروض المطار، ص ٤٧١ .

(٣) نزهة المشتاق، ٥٤٧/٢ .

(٤) نزهة المشتاق، ٥٤٧/٢ .

(٥) وهي إحدى مدن الثغر الأعلى الأندلسي، بينها وبين مدينة وادي الحجارة خمسين ميلاً، ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١١٧؛ الإدريسي، نزهة

المشتاق، ٥٥٣/٢؛ ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ٤٦١/٢

(٦) نزهة المشتاق، ٥٥٢/٢ .

الإدريسي على ذلك بقوله: ((... ، ومدينة قلمرية مدينة على جبل مستدير وعليها سور حصين ولها ثلاثة أبواب وهي في نهاية من الحصانة...))^(١) ، في حين أشار الحميري بقوله: ((... ، ومكانها في رأس جبل تراب ، لا يمكن قتالها ،...))^(٢).

(١) نزهة المشتاق، ٥٤٧/٢.

(٢) الروض المعطار، ص ٤٧١.

التاريخ السياسي والعسكري لمدينة قلمرية

لم ترد في المصادر المتوفرة لدينا إشارة مباشرة عن كيفية فتحها وتاريخ ذلك ، ولكن خط سير الفتح الإسلامي بقيادة موسى بن نصير قد أخذ من إشبيلية Sevilla غرباً باتجاه ماردة التي حاصرها عدة أشهر حتى استطاع فتحها ثم توجه إلى طليطلة^{(١)(٢)} ، أي أنه لم يمر بمدن الساحل الغربي لاسيما مدينة قلمرية ، ثم إنه واصل سير فتوحاته المشتركة مع قائده طارق بن زياد في شمال شبه الجزيرة الأيبيرية^(٣) Iberia.

ونظراً لفتح موسى بن نصير معظم مناطق الثغر الأدنى الأندلسي ، فقد قسم موسى أراضيه بعد أن أخذ الخمس بين

(١) مدينة أندلسية كانت قاعدة ملوك القوط الغربيين، وهي حصينة ولها أسوار عدة، وتقع على نهر تاجة، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٩ - ٢٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٣.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن خط سير فتوح موسى بن نصير، ينظر: السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص ٩٥ - ٩٦؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٣٦ - ٣٨؛ الحجري، التاريخ الأندلسي، ص ٨٣.

(٣) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٣٨ - ٣٩.

الجند ، إلا مدينتين وهما قلمرية وشتترين لعدم فتحهما في عهده ،
وسائر البلاد قسمت بين التابعين^(١) الذين كانوا مع موسى بن
نصير ، ثم توارث أراضيها الأبناء عن الآباء^(٢).

وأشار بعض الباحثين إلى أن فتح مدن الساحل الغربي تم على
يد عبد العزيز بن موسى^(٣) (٩٥-٩٧ هـ/٧١٣-٧١٥ م) ، وما يدل على
ذلك ما ذكره مؤلف مجهول بقوله: ((افتتح في ولايته مداين
كثيرة))^(٤) ، في حين تحدث عن ذلك ابن عذاري بقوله: ((لما قفل
موسى بن نصير ، استخلف ابنه عبد العزيز على الأندلس ، فضبط
سلطانها ، وسد ثغورها ، وافتتح مدائن كثيرة))^(٥).

ويبدو أن المدينة فتحت صلحاً ، إذ لم تزودنا المصادر المعتمدة
بأخبار عن معارك جرت في شمال غرب شبه الجزيرة الأيبيرية ،
ولعل ذلك يعود إلى طلب سكان المنطقة السلم من الجيش
الإسلامي حيث لا جدوى من المقاومة بعد أن فرّ معظم الجيش

(١) من التابعين الذين دخلوا الأندلس مع موسى بن نصير: أبو عبد الرحمن
الحبلي، وحيان بن أبي جبلة القرشي، ويكر بن سودة الجذامي، وحنش بن
عبد الله الصنعاني، ينظر: ابن حبان، الثقات في الصحابة والتابعين وأتباع
التابعين، ص ٥١.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٢٠٥.

(٣) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٣٩-٤١؛ طه، دراسات أندلسية، ص
٢٤٤.

(٤) أخبار مجموعة، ص ٢١.

(٥) البيان المغرب، ٢/٢٤.

القوطي وقتل ملكهم ، وفي هذا الصدد قال المقرئ: ((... ، وأطاعت الأعاجم فلاذوا بالسلم وبذل الجزية))^(١).

ثم قام عبد العزيز بن موسى خلالها بعقد معاهدات السلم مع أهالي مدينة قلمرية ، وهو ما يعكس تسامح المسلمين مع أهالي البلاد التي يفتحونها بحرية العيش بسلام وعدم التعرض إلى ممتلكاتهم وعقائدهم^(٢) ، وقد تحدث مؤنس عن بنود هذه المعاهدة والتي تنص على أن يكون لأهل مدينة قلمرية الحق في أن يحكموا أنفسهم بقوانينهم التي تعودوا عليها أن ينظموا بها أمورهم قبل مجيء المسلمين ، وأن يكون لهم حاكم منهم يقوم بالقضاء بينهم وينفذ الأحكام فيما عدا أحكام الإعدام إذ كان لا بد من عرضها على الحاكم الإسلامي المقيم ، وكان هذا العامل يقيم في مدينة قلمرية ممثلاً لسلطان المسلمين ، ومعه حامية تؤيده وتحميه وتمنع النصارى من الانتقاص عليه ، فإذا وقعت خصومة بين مسلم وآخر من أهل البلاد كان لا بد من عرضها على الحاكم المسلم الذي يقضي في الأمر بمقتضى الشريعة الإسلامية ، وإذا اعتدى نصراني على مسلمة ألزم باعتناق الإسلام والزواج منها ، فإذا كانت متزوجة لم يكن له من الموت مفر^(٣).

(١) نضح الطيب، ١/٢٧٦.

(٢) الدرويش والعلياوي، دراسات في تاريخ المدن الأندلسية، سلسلة رقم (٣)، ص

١٩٣ - ١٩٤.

(٣) فجر الأندلس، ص ٢٩٩.

وبعد فتح عبد العزيز بن موسى قلمرية صلحاً عين عليها حاكماً عربياً وهو أبو عاصم بن محمد بن الأحمر بن طريف وذلك سنة ٩٧هـ/٧١٥م ، وكانت المدينة آنذاك عامرة وبها كنيسة كبيرة ، فعهد أبو عاصم على المدينة قومس من قبله يسمى ايدولفو Aidulfo ، ولما مات خلفه ابنه أتاناجيلدو Atanagildo وأعقبه ابنه تيودوس Theodus ، كما أقام على الأسقفية قساً يسمى لوربان Lorban ، وأعقب أبو عاصم في حكمها شخصاً عربياً آخر يدعى مروان بن موسى وسار على طريقته في التودد إلى السكان والإحسان إليهم^(١).

وذكر أن أبا عاصم كان يوقر الرهبان ويقربهم ، وقد ألزم أهل قلمرية أن يدفعوا جزية معينة ، وجعل على كل كنيسة جزية قدرها خمسة وعشرون مثقالاً ، وكان على كل دير خمسين مثقالاً ، واستثنى من ذلك دير لوربان فقد أعفاه من كل شيء لأن رئيسه كان حليف الأندلسيين ، فترك رهبانه أحراراً^(٢).

وعليه يمكننا أن نستشف تاريخ فتح قلمرية أنه كن بعد مغادرة موسى بن نصير الأندلس وأثناء ولاية عبد العزيز بن موسى ، أي في المدة بين سنتي ٩٥ هـ/٧١٣ م حيث غادر موسى وسنة ٩٧هـ/٧١٥م حيث قتل عبد العزيز بن موسى.

ويبدو أن مدينة قلمرية عاشت هادئة بعيدة عن الأحداث الكبيرة

(١) مؤنس، فجر الأندلس، ٥٠٨ - ٥٠٩.

(٢) مؤنس، فجر الأندلس، ص ٥٠٨ - ٥٠٩؛ السامرائي، الثغر الأدنى الأندلسي،

التي عاشتها الأندلس من عصر الولاة وبداية عصر الإمارة ، وربما يرجع ذلك إلى التزام الجميع بمعاهدة الصلح التي تم بموجبها فتح المدينة ، إلا أنه ليس لدينا معلومات كافية عن أسماء القبائل التي سكنتها بعد الفتح الإسلامي لها سواء كانت القبائل العربية أم البربرية ، إلا أن معظم المناطق الشمالية الغربية سكنتها قبائل من الفاتحين البربر وكانت تكون خطأً من نواحي جبال البرت Pirineos^(١) ثم تنحدر إلى ناحية مدينة سالم Medinaceli وطليلة وطلبييرة Talavera^(٢) وقورية وقلمرية عند ساحل البحر المحيط^(٣) ، ومن بيوتات البربر التي سكنت في مدينة قلمرية هم بنو دانس بن عوسجة^(٤) ، وإلى جدهم عوسجة ينسب قصر أبي دانس^(٥).

ويبدو أن تلك القبائل البربرية التي كانت تسكن نواحي أستوريس Asturias وكنتبيرة Cantabrica وجليقية والتي يسميها مؤلف مجهول ((خلف الدروب))^(٦) ثم هجرروا مساكنهم وانحدروا

(١) وهي سلسلة جبال فاصلة بين الجنوب الفرنسي والشمال الإسباني، ينظر:

البكري، المسالك والممالك، ٥٩٨/٢

(٢) مدينة أندلسية قديمة تقع على نهر تاجة وهي من أعمال طليطلة، ينظر:

ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٩١؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٥.

(٣) كرياج، عناصر المجتمع الأندلسي، ص ٤٢.

(٤) يرجع نسب بني عوسجة إلى قبيلة مصمودة البربرية أسلم جدهم عوسجة

على يدي الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦ هـ/ ٧٠٥ - ٧١٤ م)،

ينظر: مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص ١٨٨.

(٥) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠١.

(٦) أخبار مجموعة، ص ٣٨.

إلى الجنوب بسبب الحروب الداخلية التي تعرضت لها الأندلس في عهد الولاة^(١)، أضف إلى ذلك المجاعة والقحط التي حلت في عموم الأندلس سنة ١١٣٣هـ/٧٥٠م^(٢)، وبذلك قلت تلك القبائل المستوطنة هناك، وعليه فإن الحزام الأمني في تلك المناطق أصبح خالياً من الناحية البشرية تقريباً، وما تبع ذلك من خلو تلك المناطق من التحصينات والقوة العسكرية الإسلامية بعد انسحاب حامياتها^(٣).

وعلى إثر ذلك اتسعت مملكة جليقية في عهد الفونسو الأول الملقب بالكاثوليكي (١٢١- ١٤٠هـ/٧٣٨-٧٥٧م) وسيطر على معظم الأراضي الأندلسية شمال نهر دويرة^(٤)، وهذا الأمر دفع الأمير عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٨م) إلى الاهتمام بتقوية الثغور ولاسيما الثغر الأدنى، والذي تقع ضمنه مدينة قلمرية، بدأ من نهر دويرة حتى أعالي أوسمة Osma^(٥)، إذ اهتم بتحسين قلمرية وقورية وطلبيرة وطليلة، قبل عنايته بالمناطق المحيطة بوادي الحجارة Guadalajara^(٦) وبتليلة وبنبلونة Pamplona^(٧)، ثم عمل

(١) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٤٠٣٨؛ مؤنس، فجر الأندلس، ١٩٦، ١٩٧.

(٢) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٦١؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ٣٨/٢.

(٣) مؤنس، فجر الأندلس، ص ٣٥٠.

(٤) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٦٢؛ ابن خلدون، العبر، ٤/١٨٠.

(٥) مدينة تقع غرب الأندلس، ينظر: مؤنس، فجر الأندلس، ص ٣٤٩.

(٦) مدينة أندلسية تعرف بمدينة الفرج بينها وبين طليطلة خمس وستون ميلاً، وهي إلى الشمال الشرقي من قرطبة، ينظر: ياقوت، الأندلس من

معجم البلدان، ص ٢٩١-٢٩٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٦٠٦.

(٧) وهي عاصمة مملكة نافار تبعد عن مدينة سرقسطة مائة وخمسة =

جاهداً ومحاولاً استرجاع الأراضي التي احتلها الفونسو الأول والتي استرجعت فيما بعد^(١).

ويبدو أن مدينة قلمرية أو قسماً منها قد خضع للنصارى الأسباب في أحداث الفتنة في عصر الولاة ، الأمر الذي تطلب استرجاعها ، ففي عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن (١٧٢- ١٨٠ هـ/ ٧٨٨-٧٩٦م) بعث قوة عسكرية كبيرة سنة ١٧٨هـ/ ٧٩٤م بقيادة عبد الملك بن مغيث^(٢) إلى منطقة جليقية وتمكن من تخريب الحصون وهدم كنيستها والدخول إلى مدينة قلمرية وقتل رجالها ، وهذا ما أشار إليه مؤلف مجهول بقوله: ((وفي سنة ١٧٨هـ غزا عبد الملك بن مغيث أيضاً ، فحرب الكنائس والحصون ، وهدم كنيستها العظمى ، وهدم ديار الأدفنش^(٣) ، وأفسد عمائرها ، وحشد له الأدفنش صاحب جليقية الجوس والبشكنس^(٤) ، فلم يبال بكثرتهم ، ودخل مدينة

=وعشرون ميلاً، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٥٥- ٥٦.

(١) السامرائي، الثغر الأدنى الأندلسي، ص ١١٩؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص ١٧٠؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص ٣٥٠.

(٢) وهو من أكابر الدولة المروانية أيام الأمير الحكم بن هشام وابنه عبد الرحمن الثاني وكان أبوه حاجباً للأمير هشام، ينظر: ابن حيان، المقتبس (للحقبه ١٨٠ - ٢٣٢ هـ/ ٧٩٦ - ٨٤٦ م) ص ١٠٣.

(٣) وهو الفونسو الثاني ملك جليقية حكم للمدة (١٧٥ - ٢٢٧ هـ/ ٧٩١ - ٨٤١م)، ينظر: العلياوي، البشكنس، ص ١٠٤.

(٤) وردت كلمة البشكنس في المصادر التاريخية بأسماء متعددة فجاءت بلفظة البسكنس والبشكنس والبشكنش بشكونس والبشاكسة، وفي المراجع الحديثة=

قلمرية بالسيف ، وقتل الرجال ، وسبى الحريم والعيال))^(١) .
 وفي عهد الأمير الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢١م) هاجم
 ملك جليقية الفونسو الثاني (١٧٥-٢٢٧هـ/٧٩١-٨٤١م) أطراف
 منطقة الثغر الأدنى وذلك سنة ١٩٣هـ/٨٠٨م لاسيما المنطقة الواقعة
 بين نهري دويرة وتاجة لبعدها عن قرطبة Cordoba ولضعف وسائل
 الدفاع عنها^(٢) ، وواصل زحفه حتى مدينة قلمرية وأشبونة Lisbon
 ووقع في يده بعض الأسرى من المسلمين فأرسلهم راكبين على
 البغال إلى ملك الأفرنجة شارلمان^(٣) (١٥١-١٩٩هـ/٧٦٨-٨١٤م) اعتزازاً
 بالنصر ومؤكداً للتعاون في حشد القوى ضد مسلمي الأندلس^(٤) .

-
- = أطلق عليهم اسم الباسك للتنبؤ به إلى خليج بسكاي المحاذي لمناطقهم
 والبشكنس هم سكان نافار وهو إقليم يمتد عبر جبال البرت الغربية على الحدود
 ما بين فرنسا وأسبانيا، ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص ١٩٥؛ ابن حوقل، صورة
 الأرض، ص ١٠٩؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠٢؛ ابن حيان، المقتبس
 (الحقبة ١٨٠-٢٣٢هـ/ ٧٩٦- ٨٤٦م)، ص ٣٠٦، ٣٠٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى،
 ٢٧١/٥؛ أرسلان، التحلل السندسية ١/٣٢١؛ لورد، أسبانيا شعبها وأرضها، ص ١٩٦؛
 العلياي، البشكنس، ص ٢٣- ٢٤.
 (١) تاريخ الأندلس، ص ١٧٢- ١٧٣.
 (٢) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١/٢٣٧- ٢٣٨، ٢٠٠، ٣٥٧.
 (٣) يطلق عليه شارل الكبير أو شارل الأول وهو إمبراطور الغرب للمدة (١٨٤ -
 ١٩٩هـ/ ٨٠٠- ٨١٤م) وملك الأفرنجة للمدة (١٥١ - ١٩٩هـ/ ٧٦٨- ٨١٤م)
 وهو أكبر أبناء بيبين القصير وحفيد شارل مارتل، اقتسم مع أخيه
 كارلومان حكم المملكة بعد وفاة أبيه، وعندما توفي كارلومان نودي بشارل
 الأول بمفرده ملكاً على الأفرنجة، ينظر: عاشور، أوربا، ١/٢٠٠- ٢١٣.
 (٤) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص ١٦٨؛ طه، دراسات أندلسية، ص ١٦٤.

وعلى إثر هذه الهجمات النصرانية ، فقد أرسلت أصوات الاستغاثة إلى الأمير الحكم ، إذ استغاثت به امرأة من مدينة وادي الحجاره^(١) ، ولما سمع الأمير تلك الاستغاثة أمر حالاً بالاستعداد للجهاد في سنة ١٩٤هـ/ ٨٠٩م ، فخرج بقواته وتوغل غرباً فيما يلي وادي الحجاره في منطقة جليقية وتمكن من هزيمة النصارى الأسباب في عدة مواقع ، وافتتح الكثير من حصونهم ، كما أنه ردّ للأندلسيين اعتبارهم بطرد الأسباب من قلمرية وأشبونة وغيرها من مدن الثغر الأدنى الأندلسي^(٢).

وقد علق ابن عذاري على تلك الأحداث بقوله: ((وفي سنة ١٩٤ ، غزا الحكم إلى أرض الشرك ، وكان السبب في هذه الغزاة أن عباس بن ناصح^(٣) الشاعر كان بمدينة الفرج وهي وادي الحجاره ، وكان العدو ، بسبب اشتغال الحكم بماردة وتوجيه الصوائف إليها مدة من سبعة أعوام ، قد عظمت شوكته ، وقوى أمره ، فشن الغارات في أطراف الثغور ، يسبي ويقتل ، وسمع عباس بن ناصح امرأة في

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٧٣/٢.

(٢) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٢٩؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٤٤ - ١٤٥؛ النويري، نهاية الأرب، ٣٦/٢٢.

(٣) هو عباس بن ناصح المصمودي ولي قضاء مدينتي شنونة والجزيرة الخضراء، وكان شاعراً وله حظ في الفقه، توفي في أواخر أيام الأمير عبد الرحمن الثاني، ينظر: ابن الضري، تاريخ علماء الأندلس، ص ٢٣٨ - ٢٣٩؛ ابن حيان، المقتبس (للحقبه ١٨٠. ٢٣٢ هـ/ ٧٩٦ - ٨٤٦ م)، ص ٢٣٤ - ٢٣٧؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ٤٨/١.

ناحية وادي الحجارة ، وهي تقول: واغوثاه ياحكم! قد ضيعتنا وأسلمتنا واشتغلت عنا ، حتى استأسد العدو علينا! ، فلما وفد عباس على الحكم ، رفع إليه شعراً يستصرخه فيه ، ويذكر قول المرأة واستصراخها به ، وأنهى إليه عباس ما هو عليه الثغر من الوهن والتيث الحال ، فرثى الحكم للمسلمين ، وحمى لنصر الدين ، وأمر بالاستعداد للجهاد ، وخرج غازياً إلى أرض الشرك ، فأوغل في بلادهم ، وافتتح الحصون ، وهدم المنازل ، وقتل كثيراً ، وأسر كذلك ، وقفل على الناحية التي كانت فيها المرأة ، وأمر لأهل تلك الناحية بمال من الغنائم ، يصلحون به أحوالهم ويفدون سباياهم ، وخص المرأة وأثرها ، وأعطاهم عدداً من الأسرى عوناً ، وأمر بضرب رقاب باقيهم ، وقال لأهل تلك الناحية وللمرأة : هل أغاثكم الحكم؟ قالوا: شفا والله الصدور ، ونكى في العدو ، وما غفل عنا إذ بلغه أمرنا! فأغاثه الله وأعز نصره!!^(١).

ويبدو أن النصارى تمكنوا فيما بعد من السيطرة على مدينة قلمرية والمناطق الثغرية الأخرى في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢م) ، ولم ترد تفاصيل عن كيفية ذلك ولكن كان قبل سنة ٢١٠هـ/٨٢٥م ، إذ أشار ابن حيان أنه في هذه السنة أرسل الأمير عبد الرحمن الثاني قواته إلى الثغر لاسترجاع تلك المناطق ومنها قلمرية بقوله: ((وفيها أيضاً غزا عباس بن عبد الله

(١) البيان المغرب، ٧٣/٢.

القرشي^(١) جليقية في عسكر آخر ، فدخل على بازو^(٢) ، ودخل أخوه مالك بن عبد الله على قلمرية ...))^(٣).

وفي عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني (٢٣٨-٢٧٣هـ / ٨٥٢-٨٨٦م) تعرضت بعض مناطق غرب الأندلس بما فيها قلمرية لهجمات النورمان Normans^(٤) سنة ٢٤٥هـ / ٨٥٩م بقوة مؤلفة من اثنتين وستين مركباً فهاجموا في بداية الأمر سواحل وادي تاجة والمنطقة الواقعة إلى الجنوب منه ، وقد تصدى لهم سعدون بن

(١) هو عباس بن عبد الله بن عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم المرواني القرشي تولى الوزارة والقيادة للأمير هشام بن عبد الرحمن ثم لابنه الحكم ثم لعبد الرحمن الثاني، وكانت وفاته سنة ٢١٩ هـ / ٨٣٤ م، ينظر: ابن حيان، المقتبس (لحقبه ٢٣٢ - ٢٦٧ هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠ م)، ص ٢٨ - ٢٩.

(٢) مدينة تقع في غرب الأندلس في البرتغال الحالية، ينظر: ابن حيان، المقتبس (الحقبه ١٨٠ - ٢٣٢ هـ / ٧٩٦ - ٨٤٦ م)، ص ٤٢١.

(٣) المقتبس (الحقبه ١٨٠ - ٢٣٢ هـ / ٧٩٦ - ٨٤٦ م)، ص ٤٢١.

(٤) ويطلق عليهم النورمان أو الوردمانيون، كذلك عرفوا بالفايكنج، وهم سكان الشمال من السويديين والنرويجيين والدنماركيين، الدول الاسكندنافية، وأطلقت عليهم مصادرنا الإسلامية اسم المجوس، ولعل إطلاق كلمة المجوس عليهم لأنهم كانوا يشعلون النار في كل مكان يحلون فيه وكانوا يحرقون بها جثث موتاهم، وكانوا يسكنون سواحل تلك البلاد، وهم بحارة مهرة ويمتلكون قوارب سريعة يغيرون فيها على السواحل المكشوفة غير المحصنة، ينظر: العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص ٣٤٨ - ٣٤٩؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص ٢٢٧ - ٢٢٨؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢ / ٢٦١ - ٢٦٢؛ عاشور، أوروبا في العصور الوسطى، ص ٢١٨ وما بعدها.

الفتح السرنباقي^(١) الذي كان متمرداً على حكومة قرطبة بحصن فقبروالة ما بين وادي تاجة ومدينة قلمرية ، ودخل في معارك عدة معهم ، إلا أنهم استطاعوا أسره ومن ثم أطلق سراحه مقابل مبلغاً من المال^(٢).

وبسبب موقع مدينة قلمرية الثغري فقد استمر النصرارى بمهاجمتها والمناطق الأخرى في الثغر الأدنى ، فقد عبر ملك جليقية الفونسو الثالث(٢٥٢-٢٩٧هـ/٨٦٦-٩٠٩م) بقواته نهر دويرة إلى أراضي الثغر الأدنى ووصل إلى ضفاف نهر تاجة وهاجم مدن قلمرية وماردة وبازو وقورية وشلمنقة ، إلا أنه لم يستطع الاحتفاظ بها لكنه نجح في الحد من هجمات المسلمين على مناطق حكمه من خلال الضغط عليهم فيما يبدو لبعض الوقت^(٣).

وفي سنة ٢٦٢هـ/٨٧٥ م حدثت مواجهة عسكرية بين أهالي مدينة قلمرية وبين المتمرد سعدون السرنباقي ، عندما اجتاز الأخير مدينة

(١) أحد الثوار في غرب الأندلس كان موصوفاً بالمكر والدهاء، تمرد على حكومة قرطبة لسنوات عدة وقد أسر من قبل النورمان بعد مهاجمتهم الساحل الغربي الأندلسي في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن وقد تم شراءه منهم من قبل بعض التجار اليهود ابتغاء الربح إلا أنه تمكن من الهرب من اليهودي فأخسره ماله، وقد تحصن في مكان يقع بين مدينتي قلمرية وشنترين، ومنه أخذ يهاجم المسلمين والنصارى على حد سواء إلى أن تمكن ملك جليقية الفونسو الثالث من قتله، ينظر: ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٣٠٠٠٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م) ص ٤٣.

(٢) ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٢٣٢ - ٢٦٧ هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠ م)، ص ٣٠٧ - ٣٠٩.

(٣) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣٦١/١.

قلمرية لمساعدة حليفه عبد الرحمن بن مروان الجليقي^(١) من ملاحقة القائد الأندلسي هاشم بن عبد العزيز^(٢) ، وانتهت هذه المواجهة بانهزام أهالي قلمرية وقتل أعداد كبيرة منهم ، وقد أشار ابن حيان إلى ذلك بقوله: ((فخرج سعدون السرنباقي نحوه فيمن معه من قومه ولفيفه يريد إعانته ، وكان في عدد كثير من الخيل والرجال والرماة ، فلما اجتاز بمدينة قلمرية وهي يومئذ بيد المسلمين يسكنها قوم من بني أدانس من مضمودة وهم مستمسكون بالطاعة وعليهم أمير منهم يدعى أدانس بن عوسجة ، فخرجوا إليه يصدونه عن طريقه ، ف وقعت بينهم حرب قتل فيها رجال من بني أدانس ، وعقرت لهم خيول ثم انهزموا ،...))^(٣).

وعلى إثر هذه الخسارة التي لحقت بأهالي مدينة قلمرية فقد بعثوا بطلب استغاثة إلى القائد هاشم بن عبد العزيز من أجل الثأر لقتلاهم ، وهو ما أكده ابن حيان بقوله: ((... ، وأرسلوا رسولهم إلى

(١) كان أبوه مروان قد تمرد في مدينة ماردة في عهد الأمير الحكم بن هشام سنة ٢٠١ هـ/٨١٦ م وبعدها رجع إلى طاعة الأمير عبد الرحمن الثاني، وقد خلف عبد الرحمن أبوه في حكم مدينة بطليوس وقام ببنائها بإذن من الأمير عبد الله بن محمد وأسس له إمارة مستقلة فيها حتى انتزعها منهم عبد الرحمن الناصر سنة ٣١٧ هـ/٩٢٩ م ، ينظر: ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٢٣٢ - ٢٦٧ هـ/٨٤٦ - ٨٨٠ م)، ص ٣٦٠ - ٣٧٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٩٣؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣٠٣/١ - ٣٠٧، ٣٣٨ - ٣٣٩.

(٢) كان وزير الأمير محمد بن عبد الرحمن، وهو أديبا وكاتباً بليغاً، قتله الأمير المنذر بن محمد سنة ٢٧٣ هـ/٨٨٦ م لأشياء كانت بينهما في حياة أبيه ، ينظر: الضبي، بغية الملتبس، ص ٤٤٩؛ ابن الأبار، الحلة السرياء، ١٣٧/١ - ١٤٤.

(٣) المقتبس (للحقبه ٢٣٢ - ٢٦٧ هـ/٨٤٦ - ٨٨٠ م)، ص ٣٦٨ - ٣٦٩.

هاشم بن عبد العزيز يستغيثونه ويعلمونه قصده نحو لمعونة ابن مروان عليه ، وبعثوا إليه بثياب قتلاهم المدماة ، يحرضونه على الانتصار لهم))^(١).

وقد لبي هاشم بن عبد العزيز دعوة أهالي مدينة قلمرية ، وخرج بقواته لمواجهة سعدون السرباقي ، وقد التحقت به قوات أخرى من طلائعه ، وأخذت هذه القوات بملاحقة قوات المتمرد سعدون واتباع أثره^(٢).

ولما رأى سعدون السرباقي ملاحقة قوات هاشم بن عبد العزيز له خطب في أصحابه وحثهم على القتال بكل شجاعة وإقدام وعدم الفرار ، وقد أشار ابن حيان إلى ذلك بقوله: ((فلما رأى سعدون وقف وجمع إليه أصحابه ، فقال لهم: إن الذي بيني وبينكم بعيد ، والذي قد أضلكم من هذا الجبار شديد ، وليس شأنكم هذا موضع فرار ينجيكم ولا لكم هاهنا رحماء يبقون عليكم ، ولا بقربكم أنصار يمدونكم ، فقد خبتم إن لم تستعدوا الصبر ، وتوطنوا على الموت أنفسكم ، وتدرعوا حفاظكم وجدكم ، فجدوا الآراء وقصدوا))^(٣).

ويبدو أن هذه الخطبة قد أثرت في نفوس أصحابه وحفزتهم على القتال لمواجهة قوات الإمارة الأندلسية بقيادة هاشم بن عبد العزيز ، ((فعبأهم للقتال أحسن تعبئة ، وركب ردوده من الخيل والرجالة

(١) المقتبس (للحقبه ٢٣٢ - ٢٦٧ هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠ م)، ص ٣٦٩.

(٢) ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٢٣٢ - ٢٦٧ هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠ م)، ص ٣٦٩ - ٣٧٠.

(٣) ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٢٣٢ - ٢٦٧ هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠ م)، ص ٣٧٠.

والرماة الذين كان استعد بهم ، وقدم إلى هاشم خيلاً قليلة ليذوقوه ويتعرف ما عنده ، وكان معه فرسان من أصحابه لا يدرون ما الموت شدة ، وكان هو من أهل البصر والحرب والحزم فيها والعزم عليها لا يساويه في ذلك أحد من أهل زمانه))^(١).

بعد ذلك حدثت عدة مواجهات عسكرية بين الطرفين انتهت بأسر هاشم بن هبذ العزيز وقتل العديد من أتباعه ، كان ذلك سنة ٢٦٢هـ/٨٧٥م^(٢) ، ولكن يبدو أنه على الرغم من هزيمة قوات حكومة قرطبة وأسر قائدها فإن مدينة قلمرية بقيت على الطاعة ، يتضح ذلك من أنه بعد سنتين على ذلك أي في سنة ٢٦٤هـ/٨٧٧م سارت قوات الإمارة الأندلسية بقيادة البراء بن مالك^(٣) وتمكنت من اقتحام منطقة جليقية من جهة قلمرية ، وقد أشار ابن حيان إلى ذلك بقوله: ((وفيها دخل البراء بن مالك بجشود العرب^(٤) إلى جليقية على باب قلمرية ، فكانت هناك وقعة ضلوسة))^(٥).

(١) ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٢٣٢- ٢٦٧ هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠ م)، ص ٣٧٠ - ٣٧١.

(٢) ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٢٣٢- ٢٦٧ هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠ م)، ص ٣٧٠ - ٣٧٣.

(٣) لعلة ابن القائل مالك بن عبد الله بن عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم المرواني الذي سبق وأن قاد قوات الإمارة واسترجع مدينة قلمرية من أيدي النصارى سنة ٢١٠ هـ/ ٨٢٥ م، ينظر: ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٢٣٢- ٢٦٧ هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠ م)، ص ٢٨ - ٢٩.

(٤) ذكر محقق كتاب المقتبس أن كلمة العرب قد تكون محرفة عن كلمة الغرب وهو ما ذكره ابن عذاري، ينظر: المقتبس (للحقبه ٢٣٢- ٢٦٧ هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠ م)، ص ٣٨٥ هامش رقم (٢)؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٠٣/٢.

(٥) المقتبس (للحقبه ٢٣٢- ٢٦٧ هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠ م)، ص ٣٨٥.

في تحدث ابن الأثير عن ذلك بقوله: ((وفيها سار جمع من العرب إلى مدينة جليقية ، فكانت بينهم وقعة عظيمة قتل فيها من الطائفتين كثير))^(١) ، أما ابن عذاري فقد أشار إلى ذلك بقوله: ((وفيها دخل البراء بن مالك من باب قلنبرية إلى جليقية بمشود الغرب وتردد هناك حتى أذهب نعيمهم))^(٢) ، وحسب رواية ابن عذاري فإن القوات الموجودة في قلمرية قد اشتركت في هذه الحملة كونها واحدة من مناطق غرب الأندلس المهمة ومركز متقدم في الثغر الأدنى الأندلسي.

ويبدو أن مدينة قلمرية قد تأرجحت تبعيتها بين المسلمين والنصارى خلال مدة حكم الأمير عبد الله (٢٧٥-٣٠٠ هـ/ ٢٨٨-٩١٢ م) وعبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠ هـ/ ٩١٢-٩٦١ م) ولم تكن النصوص المتوفرة تفصح كثيراً عن ذلك ، ولعل ذلك بسبب موقعها الثغري في أقصى الغرب بين حدود المسلمين ومملكة ليون Leon وهيمنة الأحداث الكبيرة التي وقعت سواءً بين الجانبين الإسلامي والنصراني أم داخل دولة المسلمين في الأندلس على اهتمامات المصادر^(٣) ، ففي أحداث سنة ٣٠٣ هـ/ ٩١٥ م أشار ابن حيان عرضاً

(١) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢٠٢.

(٢) البيان المغرب، ٢/ ١٠٣.

(٣) يأتي في مقدمة ذلك حركات التمرد التي شهدتها الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي والتي استمرت حتى عهد عبد الرحمن الناصر والتي أخذت منه الكثير من الوقت والجهد حتى تمكن من إخمادها لاسيما حركة ابن حفصون، ينظر عن الجبهة الداخلية=

إلى قلمرية عندما تحدث عن الصراع داخل البيت النصراني بأن مدينة قلمرية كانت قبل هذه المدة تحت الحكم النصراني بقوله: ((... ، وامتنع عليه أخوه أردون بن أذفونش^(١) في غربي أرضهم ، من غليسية ، طرف جليقية إلى قلمرية الدانية من أرض الإسلام التي قد كان العدو حازها قبل ذلك بمدة ...))^(٢) ، ويفهم من هذا أن قلمرية وقعت تحت السيطرة النصرانية وأن المسلمين استرجعوها في عهد الأمير عبد الرحمن الثالث.

ثم عملوا من أجل المحافظة عليها وعلى بقية مناطق الثغر على تحصين الحدود على طول خط نهر تاجة وما بينه وبين السفوح الجنوبية لجبال الشارات حماية لطليطة وقورية وقلمرية وما بمستواها من المدن الأندلسية ، وقد استفاد الأندلسيون من الطبيعة الجغرافية لإنشاء سياج من الحصون والقلاع لحمايتها والتي كانت تحمل إضافة لخصائصها الحربية خصائص تعليمية إسلامية^(٣).

وعلى الرغم من ذلك إلا أن هذا لم يمنع من سيطرة النصارى

=الإسلامية آنذاك: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣٠٨/١ وما بعدها؛ وعلى صعيد العلاقة مع النصارى ازدادت هجماتهم على الأراضي الإسلامية بسبب ظروف حكومة قرطبة أعلاه، ينظر التفاصيل: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣٥٧/١ وما بعدها.

- (١) هو اردونيو الثاني بن الفونسو الثالث ملك ليون حكم للمدة (٣٠١ - ٣١٢هـ/٩١٣ - ٩٢٤م)، ينظر: العليايوي، البشكنس، ص ١٣٥.
- (٢) المقتبس (للقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/٩١٢ - ٩٤١م)، ص ١٢٣.
- (٣) السامرائي، الثغر الأدنى الأندلسي، ص ١٦٩.

عليها بعد مدة قصيرة وقبل سنة ٣٢٧ هـ / ٩٣٨ م ، ففي هذه السنة شارك أهل قلمرية مع القوات النصرانية في معركة الخندق Alhondiga والتي انتهت بخسارة المسلمين للمعركة^(١) ، وقد أطلق ابن حيان على أهالي مدينة قلمرية الذين شاركوا بالمعركة ضد المسلمين باسم مشركي قلمرية بقوله: ((... ، فلما كان في اليوم الثالث من احتلالهم عهد أمير المؤمنين إلى صاحب العسكر بمصاحبتهم بالحرب ، وقد تلاحقت بهم المدود من أقصى بنبلونة وألبه والقلاع وأهل قشتيلية ، إلى مشركي قلمرية ، وكل صنف من أصناف العجم معهم...))^(٢).

والراجح أن مدينة قلمرية استمرت تحت السيطرة النصرانية حتى عهد الخليفة هشام المؤيد (٣٦٦-٣٩٩ هـ / ٩٧٦-١٠٠٨م) إذ برز دور الحاجب محمد بن أبي عامر وهو واحد من كبار الشخصيات المهمة في الدولة والذي كان له دور في تثبيت السيادة الإسلامية في معظم أراضي أسبانيا ، وقد تميزت السياسة التي سار عليها تجاه النصارى الأسبان بطابع عسكري متميز ، فقد أحصيت عدد الحملات ضد النصارى في عهده أكثر من خمسين حملة^(٣) ، ولعله

-
- (١) للمزيد من التفاصيل حول معركة الخندق ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ١٩٢/٤ - ١٩٣؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٥٦؛ ابن حيان، المقتبس (للحقبية ٣٠٠ - ٣٣٠ هـ / ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٤٣٦ - ٤٣٧؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٣٦/٢ - ٣٧؛ المقرئ، نضح الطيب، ١/٣٦٣.
- (٢) المقتبس (للحقبية ٣٠٠ - ٣٣٠ هـ / ٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٤٤٠.
- (٣) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢٢٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٠١/٢؛ ابن خلدون، العبر، ١٥٢/٤.

كان يقوم بحملتين في كل عام واحدة في الصيف وأخرى في الشتاء^(١) وأن معظم تلك الحملات كانت تحت قيادته المباشرة^(٢). وقد كان لمدينة قلمرية نصيباً من هذه الحملات ، ففي غزوته السادسة والعشرون والتي عرفت بغزوة قندياجشة ، تمكن المنصور من الدخول إلى مدينة قلمرية وحرق أرباضها^(٣) ، وهو ما أكده مؤلف مجهول عندما أشار إلى هذه الحملة دون ذكر تاريخها بقوله: ((السادسة والعشرون: غزوة قندياجشة ، نزل عليها ففتحها عنوة من يومه ، فأحرقها وخربها ، وارتحل إلى قلمرية أيضاً فحرق أرباضها ، وانصرف إلى قرطبة))^(٤) ، وهذا يعني أنه لم يتمكن من افتتاح قلمرية بل اكتفى بمهاجمة سورها وما حوله من أراضي.

وقد حدد العذري تاريخ هذه الغزوة في سنة ٣٧٦هـ/٩٦٨م ، وعرفها بغزوة قندبخشه بقوله: ((وغزا محمد بن أبي عامر قندبخشه ، وكانت خريفية مفردة ، السبت لثلاث خلون من جمادي الأولى سنة ست وسبعين وثلاثمائة ولأحد عشر يوماً خلت من شهر شبتمبر ، وعاد يوم الجمعة السابع من جمادي الآخرة منها إلى خمسة وثلاثين يوماً))^(٥).

(١) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ١٩٢.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٠١/٢؛ ابن خلدون، العبر، ١٥٢/٤.

(٣) الريض هو سور المدينة وما حوله، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ٣٣٠/١٨ (مادة ريض).

(٤) تاريخ الأندلس، ص ٢٢٩.

(٥) نصوص من الأندلس، ص ٨٠.

كما ذكر العذري غزوة أخرى قام بها محمد بن أبي عامر سنة ٣٧٦هـ/٩٨٦م عرفت بغزوة قلنبرية الأولى إلا أنه لم يذكر تفاصيل هذه الحملة ونتائجها بقوله: ((وغزا محمد بن أبي عامر قلنبرية الأولى وكانت ربيعية مفردة من الجامع إثر صلاة الجمعة مستهل ذي القعدة سنة ست وسبعين وثلاثمائة والرابع من شهر مارس))^(١) ، كما أن مؤلف مجهول لم يوضح تفاصيل هذه الحملة إلا أنه أطلق عليها الغزوة السابعة والعشرون بقوله: ((غزاة قلمرية أيضاً))^(٢).

ويبدو أن المنصور ابن أبي عامر لم يستطع النيل من مدينة قلمرية خلال الحملتين أعلاه لذا عاود الكرة عليها في حملته الثامنة والعشرين إذ تمكن من فتحها وتخريبها وبعدها رجع ، وقد أشار مؤلف مجهول إلى ذلك دون أن يحدد تاريخها بقوله: ((الثامنة والعشرون غزوة أيضاً ، نزل عليها فقاتلها يومين ثم فتحها في اليوم الثالث فخرج وسبأها وانصرف))^(٣) ، والراجح أن هذه الحملة كانت سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م ، على اعتبار أن المنصور بن أبي عامر كان يقوم بحملتين في كل عام ، وبما أن الحملتين السابقتين السادسة والعشرون والسابعة والعشرون كانتا في سنة ٣٧٦هـ/٩٨٦م ، لذا نرجح أن تكون هذه الحملة وهي الثامنة والعشرون في سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م ، كما أنه في الحملات الثلاث على قلمرية لم يستطع الاحتفاظ بها وإنما كانت حملات استعراضية اكتفى فيها

(١) نصوص عن الأندلس، ص ٨٠.

(٢) تاريخ الأندلس، ص ٢٣٠.

(٣) تاريخ الأندلس، ص ٢٣٠.

بالنيل من عدوه وغنم وسبى.

وفي سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م قاد المنصور بن أبي عامر حملة عسكرية كبيرة باتجاه منطقة جليقية وتمكن خلالها من فتح العديد من المدن ومنها قلمرية وبازو، وقد فصل عنان عن هذه الحملة بقوله: فخرج من قرطبة في الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٣٨٧هـ/٣ يولييه ٩٩٧م على رأس قوى من الفرسان، وفي الوقت نفسه تحرك الأسطول الأندلسي، الذي أعده المنصور لهذه الغزوة الكبرى، من مرساه أمام قصر أبي دانس في مياه البرتغال الغربية، شمالاً بجذاء الشاطئ البرتغالي، يحمل المشاة والأقوات والذخيرة، واحترق المنصور إسبانيا الغربية شمالاً، وهو يعبر الجبال والأنهار العظيمة تباعاً، حتى وصل إلى مدينة قورية، ثم زحف نحو الشمال الغربي، واستولى في طريقه على مدينتي بازو وقلمرية^(١).

ويبدو أن المنصور بن أبي عامر تمكن في حملته الرابعة والأخيرة على قلمرية من ضمها إلى المسلمين، وقد أشار ابن الخطيب إلى ذلك ضمناً عند حديثه عن سقوط المدينة سنة ٤٥٦ هـ/١٠٦٣م بقوله: إنها كانت من ((الفتوح العامرية... وكانت مدة الإسلام بها بضعاً وسبعين سنة))^(٢).

(١) دولة الإسلام في الأندلس، ١/٥٦٠ - ٥٦١؛ وتزيد من التفاصيل حول هذه الحملة واستيلاء المنصور بن أبي عامر على منطقة جليقية ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٩٤ - ٢٩٩.

(٢) أعمال الأعلام، ٢/١٨٤.

كما أن عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر(٣٩٢-٣٩٩هـ/ ١٠٠١ - ١٠٠٩م) قام هو الآخر في حملة على أراضي النصارى من مدينة قلمرية ، فقد أشار ابن بسام إلى أن عبد الملك المظفر جرد حملة سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م ((إلى قلمرية قاصية الثغر المواجه لأرض غليسية جيشاً كثيفاً...))^(١) ، ما يعني أنه كانت في حوزة المسلمين منذ أيام أبيه ، إلا أنها مثلت نهاية الحدود الشمالية الغربية للمسلمين والجنوبية الغربية للنصارى وربما تقاسمها الجانبان.

ويتضح ذلك أيضاً أنه عندما سقطت الخلافة الأموية في الأندلس سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م^(٢) وقيام ديالات الطوائف ، قام القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد(٤١٤-٤٣٣هـ/١٠٢٣-١٠٤١م) مؤسس إمارة بني عباد في إشبيلية بجملة عسكرية في مناطق غرب الأندلس وشمال البرتغال وأسر هناك في منطقة قلمرية فتى نصراني اسمه سسنندو دافيدس ويسميه ابن بسام ششند^(٣) فراه ابن عباد في قصره مع بقية

(١) الذخيرة، ٨٤/٧.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن سقوط الخلافة الأموية في الأندلس، ينظر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٥٨٨/٢، ٦٢٢-؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٢٠٩- ٢١٧.

(٣) الذخيرة، ١٦٥/٧؛ وهو من النصارى المستعربين أصله من مقاطعة بيرة شمالي البتقال وقد أسرى غارة لابن عباد في منطقة قلمرية ثم أخذ إلى إشبيلية ولما تولى المعتز بن عباد ظهرت مواهبه واتخذ وزيراً وكانت له سفارات إلا أنه تعرض إلى بعض رجال ابن عباد وسعائياتهم فخاف على نفسه وهرب إلى بلاد الفونسو السادس ملك قشتالة وأصبح من المقربين لديه ومستشاريه لاسيما فيما يخص أمراء الطوائف لخبرته فيهم، ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ١٦٨-١٦٥/٧؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٥٨/٢، ١١٢- ١١٣.

الفتيان ، وظهرت مواهبه في عهد المعتضد بن عباد(٤٣٣-٤٦١ هـ
/١٠٤١-١٠٦٨م) ووزر له وكانت له أدوار مهمة فيما بعد^(١).
وعندما تغلب بنو الألفس^(٢) على منطقة غرب الأندلس اتخذوا
ببليوس Badajoz قاعدة لإمارتهم وكانت مدينة قلمرية ضمن
نفوذهم إذ شمل نفوذهم المناطق الممتدة من منتصف نهر وادي
أنه Rio Guadiana حتى المحيط الأطلسي ، وشمل كذلك قسم من
نهر وادي تاجة شمالاً حتى مدينة قلمرية^(٣).

-
- (١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٥٨/٢؛ السامرائي، علاقات المرابطين، ص ٦٨.
(٢) وهم أسرة بريرية من قبيلة مكناسة، ومن قاعدتهم ببليوس حكموا
ببليوس وغرب الأندلس من سنة ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م حتى سقوطهم على أيدي
المرابطين سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م، ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٨٣.١٨٠ / ٢.
(٣) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٨١/٢.

سقوط مدينة قلمرية

في أيام محمد بن الأفضس (٤٣٧-٤٦١ هـ / ١٠٤٥-١٠٦٨ م) تعرضت الجهات الشمالية لإمارة بني الأفضس إلى هجمات الملك القشتالي فرناندو الأول (٤٢٦-٤٥٨ هـ / ١٠٣٤-١٠٦٥ م) الذي اغتتم فرصة صراع بني الأفضس مع بني عباد^(١) فتمكن من الاستيلاء على مدينتي لاميجو وبازو الواقعة شمال قلمرية ثم أخذ يهاجم مدينة شنترين مما اضطر ابن الأفضس إلى مهادنته ودفع جزية سنوية له مقابل كفه عن مدينة شنترين^(٢).

عندها قرر الملك القشتالي فرناندو الأول القضاء على ما تبقى من نفوذ للمسلمين شمالي نهر تاجة ، وكانت أهم مدن المنطقة هي قلمرية وذلك في حملة قام بها سنة ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م أدت في النهاية إلى سقوطها ، وقد اختلف الروايات في ذكر بعض تفاصيل سقوطها ، فالرواية الإسلامية تحدثت عنها بالقول: إن مدينة قلمرية كانت يومئذ تحت حكم مولى من موالي المظفر بن الأفضس (٤٣٧-٤٦١ هـ / ١٠٤٥-

(١) قال ابن الخطيب: (وكانت بينه وبين جاره ابن عباد حروب أذهبت الرسوم وأتلفت الأرواح والجسوم)، أعمال الأعلام، ١٨١/٢.

(٢) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٢٢٦. عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٨٦/٢.

١٠٦٨م) يدعى راندة ، وكان لديه للدفاع عن المدينة خمسة آلاف جندي ، ويقال أن الذي أشار على الملك القشتالي فرناندو الأول بغزو قلمرية هو مستشاره ششند الذي كان من أهل المدينة ، فسار فرناندو بنفسه إلى قلمرية في قوات كبيرة وضرب حولها الحصار ، واستمر ستة أشهر ، والضيق يشتد بالمدينة المحصورة يوماً بعد يوم ، وفي النهاية تفاهم راندة مع فرناندو سراً على أن يخرج من المدينة آمناً على نفسه وأهله ، وفي الصباح لم يجد أهل المدينة قائدهم فعرضوا التسليم على أن يمنحوا الأمان ، فرفض فرناندو واستمر الحصار حتى فتك الضيق ونفذ الأتوات بالحامية وأهل المدينة ، وأخيراً اقتحم النصارى المدينة عنوة ، فسلمت الحامية ، واعتبر جنودها أسرى ، وسبي الكثير من أهلها نساءً ورجالاً ، وخرج منها من استطاع منهم تاركين متاعهم وأموالهم ، وبذلك سيطر النصارى على مدينة قلمرية وذلك سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م ، وقد عين فرناندو مستشاره ششند حاكماً عليها وأعمالها ومنحه لقب ((الكونت)) أو ((الوزير))^(١).

ولما سقطت المدينة بيد نصارى قشتالة Castilla قصد واليها السابق راندة إلى إمارة بطليوس ، وكان قبل ذلك قد لجأ إلى المعسكر النصراني ، ثم غادره طمعاً في عفو سيده ابن الألفس فاستقبله الأخير بجفاء وأنبه على فعله الشنيع ، ثم أمر بضرب عنقه جزاء خيانتة^(٢).

(١) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٨٤/٢؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس،

٨٥/٢؛ السامرائي، الثغر الأدنى الأندلسي، ص ٣٥ - ٣٦.

(٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٨٤/٢؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٨٦/٢.

وقد علق ابن عذاري على هذه الأحداث بقوله: ((ولم يزل عدو الله فرذلند يقوى والمسلمون يضعفون بغرم الجزية للنصارى إلى أن نزل اللعين على مدينة قلمرية... فحاصرها اللعين فرذلند حتى فتحها وذلك أن قائدها في هذا الوقت كان عبداً من عبيد ابن الأفتس يسمى راندة فخاطب فرذلند في السر أن يؤمنه في نفسه وأهله ويخرج إليه من البلد ليلاً ، فأعطاه اللعين الأمان فخرج اللعين سراً إلى عسكر النصارى ، وأصبح أهل البلد وقد أخذوا أهبة القتال ، فقال لهم النصارى : كيف تقاتلوننا وأميركم عندنا ، ولم يكن لأهل المدينة علم بذلك ، فلما لم يجدوه وعلموا صحة خبره طلبوا من العليح الأمان فلم يجيبهم إليه ، ونفذت أقواتهم وعلم عدو الله ذلك منهم ، فجد في حربهم حتى دخلها عنوة فقتل الرجال وسبى الحریم والذرية وذلك في سنة ستة وخمسين وأربعمائة ، وانصرف راندة غلام ابن الأفتس إلى مولاه فوبخه على فعله الذميمة ، ثم أمر بضرب عنقه ،...))^(١).

كما أشار ابن الخطيب إلى ذلك بقوله: ((وفي مدته ، أخذ العدو مدينة قلمرية من الفتوح العامرية بعد محاصرة طويلة ، وكان قائده عليها مملوكاً له استأمن العدو في السر ، وخرج إليه بأهله وولده ، وأصبح المسلمون بها ، وقد أخذوا أهبة القتال ، فقال لهم العدو : كيف القتال وقائدكم عندنا منذ البارحة ، فصبروا إلى أن نفذت أقواتهم ، ودخلت عليهم عنوة ، فقتل الرجال ، وسبى الذرية والحریم

(١) البيان المغرب، ٣/ ٢٣٨ - ٢٣٩، ٢٥٣.

وذلك في سنة ٤٥٦ هـ ، فكان الفجع بها أكبر ، وكانت مدة الإسلام بها بضعاً وسبعين سنة ، وأقبل المملوك قائدها إلى ابن الأفطس ، وكان له محل من قبيلته ، فأمر به ، فضربت عنقه ، وكلب الطاغية على هذه الثغور الغربية وضرب على أهلها الإتاوة حتى ضعفت ، لولا أن الله أهلته سنة ٤٥٨ هـ ،...^(١) .

أما الرواية النصرانية فتتفق مع الرواية الإسلامية حول تاريخ سقوط مدينة قلمرية في سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م ، إلا أنها تختلف معها في بعض التفاصيل ، إذ ذكرت: أن فرناندو كان على إثر إخضاعه للملك بطليوس وطليلة إشبيلية لصولته وإرغامهم على دفع الجزية ، بيد أنه رأى قبل مسيره أن يستمد العون والبركة من القديس شنت ياقب^(٢) ، وقضى ثلاثة أيام في صلوات ودعوات وخشوع ، ثم سار إلى قلمرية في جيش ضخم ، وضرب حولها الحصار ، بيد أن أهل قلمرية دافعوا عن أنفسهم أشد دفاع ، واستمر الحصار حولها زهاء ستة أشهر ، حتى نضبت أقوات الجيش المحاصر نفسه ، وكاد يرفع الحصار ، ولكن رهبان دير لورفان القريب ، أمدوه بمؤنهم المخزونة في الجبال ، وأخيراً نجح القشتاليون في إحداث عدة ثغرات في أسوار

(١) أعمال الأعلام، ٢/١٨٤ .

(٢) وهو أحد حواري المسيح عليه السلام وأصبحت له مكانة مقدسة بعد وفاته وادعت الرواية النصرانية أن قبره في شمال اسبانيا وهو يزار من قبل الحجاج المسيحيين، ينظر: العتبي والعامري، تاريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامي، ص ٢٢٣ .

المدينة ، واضطر قائد المدينة إلى طلب الأمان ، واتفق على أن يسمح لأهلها بأن يخرجوا مع نسائهم وأولادهم ، تاركين أموالهم للفتح ، ولكن الجند المدافعين رفضوا هذا الاتفاق ، واستمروا في الدفاع حتى نفذت سائر الأقوات ، وعندئذ اقتحم القشتاليون المدينة ، وأسروا من المدافعين ، ومن أهل المدينة ، أكثر من خمسة آلاف ، ودخل فرناندو قلمرية في اليوم الحادي عشر من يولييه ، ومعه الملكة دونيا سانشا ، ورهط من الأساقفة ورجال الدين^(١).

كما قام فرناندو بعد ذلك بإخراج السكان المسلمين من سائر الأراضي الواقعة بين نهري دويرة ومينو وذلك تنفيذاً لخطته في إجلاء المسلمين عن الأراضي المتاخمة لمملكة قشتالة شيئاً فشيئاً^(٢). وبعد سيطرة فرناندو الأول على مدينة قلمرية ، جعل من هذه المنطقة ولاية مستقلة باسم البرتغال بالاشتقاق من اسم بورتوكالي Porto Cille وهي الثغر الواقع عند مصب نهر دويرة ، وجعل قاعدتها مدينة قلمرية ثم ضمت هذه الولاية الجديدة قبيل وفاة فرناندو بقليل إلى مملكة قشتالة التي تركها فرناندو إلى أصغر أولاده الثلاثة غرسيه^(٣). كان البرتغاليون أهل الولاية الجديدة يتوقون إلى الاستقلال عن مملكة قشتالة ، ومن ثم فقد ثاروا منذ البداية ضد حكم الملك غرسيه بقيادة زعيمهم الكونت نونيو منندس ، ولكنهم هزموا إمام

(١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣٧٠/٢ - ٣٧١.

(٢) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٨٥/٢ - ٨٦.

(٣) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٥٢٢/٣ - ٥٢٣.

جيش قشتالة ، وقتل زعيمهم نونيو سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م ، بعدها تعاقب في حكمها الأمراء والحكام من قبل مملكة قشتالة^(١).

وبعد عبور المرابطين Almoravides, Los^(٢) إلى الأندلس على إثر سقوط مدينة طليطلة سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م^(٣) بيد الفونسو السادس (٤٥٨-٥٠٢هـ / ١٠٦٥-١١٠٨م) لقيت الجيوش النصرانية هزيمة ساحقة في معركة الزلاقة Sagrajas سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م^(٤) ، وفي ضوء هذه الخسارة فقد استصرخ الفونسو السادس بالنصارى لمساعدته ضد المسلمين ، وقد لبي الكثير من الفرسان والأشراف الفرنسيين هذه الدعوة لينجدوا إخوانهم في الدين من الخطر الإسلامي المتمثل بالمرابطين ، وكان من أبرز أولئك الوافدين اثنان من أشراف برجونية ، وهما الكونت ريمون البرجوني والكونت هنري دي لورين ، وكلاهما ينتمي إلى فرع من

(١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٥٢٣/٣.

(٢) يرجع تأسيس الدولة المرابطية إلى قبيلة لمتونة، إحدى بطون صنهاجة من البرانس، وقد قامت الدعوة المرابطية سنة ٤٤٨ هـ/١٠٥٦ م على أساس العقيدة الدينية الإسلامية على يد عبد الله بن ياسين الجزولي، وقد تزعمت قبيلته لمتونة الجهاد لهذه الدعوة في بلاد المغرب أولاً ثم الأندلس بعد ذلك، ينظر: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢٩١ - ٣١٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٧/٤ - ١١؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٢٢ - ١٢٧.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن سقوط مدينة طليطلة ينظر: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٨٤ - ٨٥؛ ابن الأثير الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٠٠ - ٣٠٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٥/٢ - ٦؛ المقري، نضح الطيب، ٣٥٢/٤.

(٤) لمزيد من التفاصيل عن معركة الزلاقة ينظر: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٠٢ - ٣١٠؛ المراكشي، المعجب، ص ٩٤ وما بعدها؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٣٠/٤ وما بعدها؛ دوزي، ملوك الطوائف، ص ٢٩٧ وما بعدها.

فروع آل كابيه ملوك فرنسا ، وقد أبدى الرجلان في خدمة الفونسو السادس همّة كبيرة ، ومن ثم فقد رأى أن يكافئهما عن إخلاصهما ، فزوج الكونت ريمون بابنته أوراكا ، ولما كان الكونت قد ظهر بالأخص في محاربة المسلمين في البرتغال سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م ، فقد عينه الفونسو حاكماً لهذه الولاية ، كذلك زوج الكونت هنري ، وهو ابن عمومة الكونت ريمون بابنته غير الشرعية تريسا وهي من خليلته خمينا نونيز^(١) .
نونيز^(١) .

ولما توفي الكونت ريمون بعد ذلك بقليل سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م بعد أصبح له من زوجته أوراكا ولداً اسمه الفونسو ، وهو الذي غدا فيما بعد القيصر الفونسو ريمونديس ، بعدها خلف ريمون في حكم ولاية البرتغال قريبه الكونت هنري ، وكانت ولاية البرتغال يومئذ تشمل المنطقة الواقعة بين نهر مينو ونهر تاجه حتى أسفل مصبه ، وبها عدة مدن مهمة هي براجا وبورتو وقلمرية وبازو ولاميجو (مليقة) وعدة بلاد وضياح أخرى ، ومنح الكونت هنري الذي لقب عندئذ بالدوق حكم هذه الولاية لا باعتبارها إمارة مستقلة ولكن على قاعدة الإقطاع باعتبارها تابعة لمملكة قشتالة ، تؤدي الجزية إليها وتشاركها في حروبها ضد المسلمين بفرقة ثلاثمائة فارس ، بيد أن تريسا زوجة هنري كانت تلقب بالملكة لأرومتها الملكية ، وجعلت مدينة قلمرية حاضرة الإمارة الجديدة ، ومن ثم فإن الرواية العربية قد جرت على تسمية أمير البرتغال أو ملكها فيما بعد بصاحي قلمرية ، ولما توفي الفونسو السادس

(١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣/٥٢٤.٥٢٣؛ طه، دراسات أندلسية، ص ١٨٩ .

ملك قشتالة سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م جاءت وصيته الخاصة لوراثة العرش مؤيدة لحقوق هنري الوراثة في حكم ولاية البرتغال بما فيها مدينة قلمرية في ظل قشتالة ، ولكنه كان في الواقع يحكم ولايته مستقلاً ، وكانت تبعيته لقشتالة مسألة اسمية فقط^(١).

بعد ذلك حاول الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠-٥٣٧هـ / ١١٠٦-١١٤٢م) استرجاع مدينة قلمرية من النصارى ، ففي جوازه الثالث سنة ٥١١هـ / ١١١٧م ، هاجم مدينة قلمرية ، وهذا ما أكده ابن عذاري بقوله: ((وفي سنة إحدى عشر وخمسمائة تحرك أمير المسلمين علي بن يوسف من حضرته مراکش إلى بلاد الأندلس فأجاز البحر في أواخر محرم ورم إشبيلية ،... ، ثم تحرك أمير المسلمين بجميع العساكر من إشبيلية لغزو قلمورية فحاصرها عشرين يوماً وضيق بها ثم انصرف عنها إلى إشبيلية ،...))^(٢).

كما أشار ابن الخطيب إلى ذلك بقوله: ((... ، ثم أجاز ثالثة ، ونازل قلمرية ، ثم قفل عنها ،...))^(٣) ، كما تحدث مؤلف مجهول أيضاً بالقول: ((في سنة إحدى عشر وخمسمائة ، افتتح فيها مدينة قلمرية ، ودوخ بلاد الشرك بجيوش لا يحصى ، وكان أثره بها عظيماً))^(٤).

إلا أن القوات المرابطية لم تستمر طويلاً في مدينة قلمرية بعد

(١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس ٣/٥٢٤؛ طه، دراسات أندلسية، ص ١٨٩-١٩٠.

(٢) البيان المغرب، ٤/٦٤.

(٣) أعمال الأعلام، ٢/٢٤٧.

(٤) التحلل الموشية، ص ٨٦.

مهاجمتها والدخول إليها ، ويعلل عنان انسحاب القوات عنها بسبب موقعها النائي ، وصعوبة الاحتفاظ بها لأنها في منطقة يحيط بها النصارى من كل صوب^(١) ، وتعد محاولات المرابطين هذه لاستعادة قلمرية هي الأخيرة ، وبذلك فقد المسلمون أي أمل في استعادتها منذ سقوطها بيد النصارى سنة ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م.

(١) دولة الإسلام في الأندلس، ٨١/٣؛ ينظر أيضاً: السامرائي، علاقات المرابطين، ص ٢٣٣.

مدینة قوریة Coria الأندلسیة
(٩٥ - ٥٣٦هـ / ٧١٣ - ١١٤١م)

الجغرافية التاريخية لمدينة قورية

Coria

قُورِيَّةٌ ضبطها ياقوت بالقول: ((بالضم ثم السكون ، والرءاء مكسورة ، وباء خفيفة))^(١) ، وهي مدينة في غرب الأندلس وهي تعد من توابع مدينة ماردة Merida^(٢) ، إذ تقع في منتصف الطريق بينها وبين سمورة Zamora^(٤) ، وهذا ما أشار إليه ياقوت بقوله: ((مدينة من نواحي ماردة بالأندلس كانت للمسلمين وهي النصف بينها وبين سمورة))^(٥).

كما أن مدينة قورية تقع جنوبي جبل الشارة Sierra Morana وإلى الجنوب منها مدينة شنترين Santarem^(٦) ، وهذا ما أكده ابن

(١) الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٣٨.

(٢) مدينة بالأندلس تقع بجويف قرطبة منحرفة إلى الغرب قليلاً، وفيها آثار كثيرة، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٥١٨.

(٣) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢١؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٨٥.

(٤) وتلفظ أيضاً سمورة وزمورة مدينة أندلسية تعد من مملكة الجلالقة، وتقع على ضفة نهر كبير، وبينها وبين البحر ستون ميلاً، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٣٢٤.

(٥) الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٣٨.

(٦) مدينة تقع غرب الأندلس تتصل بأحواز مدينة باجة وتبعد عن بطليوس =

سعيد بقوله: ((... ، وعلى جنوبي جبل الشارة مدينة قورية ، وهي كانت ثغر المسلمين ،... ، وفي جنوبها وجنوب نهر طليظلة^(١) مدينة شونترين ،...))^(٢).

أما موقعها بالنسبة إلى مدن الأندلس المحيطة بها ، فهي تبعد عن قنطرة السيف^(٣) مرحلتان^(٤) ، ومن قورية إلى مدينة قلمرية Coimbra أربعة أيام^(٥) ، وبينها وبين سمورة ١٢ مرحلة^(٦) ، ويربطها بقرطبة الطريق الغربي إذ المسافة بينهما اثني عشر يوماً^(٧) ، وهذا الطريق وصفه الاصطخري بقوله: ((ومن قرطبة^(٨) إلى قورية ١٢ يوماً ومن

-
- =أربعة مراحل، وتتميز بحصانتها، ينظر: ابن غالب، فرحة الأندلس، ص ٢٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٦.
- (١) مدينة أندلسية كانت قاعدة ملوك القوط الغربيين، وهي حصينة ولها أسوار عدة، وتقع على نهر تاجة، ينظر: ابن غالب، فرحة الأندلس، ص ١٩ - ٢٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٣.
- (٢) كتاب الجغرافيا، ص ١٧٩؛ وينظر أيضاً: أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ١٨٥.
- (٣) وهي من مدن غرب الأندلس بينها وبين بطليوس أربعة أيام وبينها وبين ماردة يوم، ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١١٥؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٣٦.
- (٤) المرحلة تساوي أربعة وعشرين ميلاً، ينظر: الشريبي، مغني المحتاج إلى معرفة أفاضل المنهاج، ١/٥٢٢.
- (٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٤٧؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢/٥٤٧.
- (٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٤٧.
- (٧) الاصطخري، المسالك والممالك، ص ٤٧.
- (٨) تعد قرطبة قاعدة الأندلس وأهم مدنها وعاصمتها لمدة طويلة، وكانت تجبى إليها كل جهات الأندلس لكونها دار ملكها، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢/٥٧٤ - ٥٨٠؛ ابن غالب، فرحة الأندلس، ص ٢٦ - ٢٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٥٦ - ٤٥٩.

قورية إلى ماردة ٤ أيام ومن قورية الى باجة^(١) ٦ أيام ويأخذ في طريق ماردة ثم يلي أخشنة^(٢))).^(٣).

وتذكر المصادر أن قورية مدينة قديمة^(٤) ، وهذه اللفظة تدل على أنها كانت موجودة قبل الإسلام^(٥) ، وكان اسمها في القديم Caurium وعُرت إلى قورية^(٦) ، وقد وضعها البكري في الجزء الخامس ، قال: وهذا الجزء يشمل ((باجة ومدينة أكشونة^(٧) ومدينة صيوتلة^(٨) ومدينة يابرة^(٩) وشنتر^(١٠) وشنترين والأشبونة^(١١) وقلنبرية^(١٢) وقورية وشلمنقة

-
- (١) مدينة تقع غرب الأندلس، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢١؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٧٥.
 - (٢) مدينة أندلسية تبعد عن مدينة شلب ستة أيام وهي كثيرة الخيرات، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٣.
 - (٣) المسالك والممالك، ص ٤٧.
 - (٤) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٤٧/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٨٥.
 - (٥) يسمي الجغرافيون العرب المدينة التي أنشأها المسلمون بالحدثة، أما التي كانت موجودة قبل الإسلام بالقديمة أو الأزلية.
 - (٦) سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية، ص ٢٠٦.
 - (٧) مدينة تقع غرب الأندلس، وتتصل بأحواز مدينة أشبونة، ولها عدة حصون وأقاليم، واشتهرت بكثرة خيراتها وثمارها، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٢.
 - (٨) لم نجد لها ترجمة.
 - (٩) مدينة تقع غرب الأندلس وتعد من كورة باجة، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٦١٥.
 - (١٠) مدينة تقع غرب الأندلس على مقربة من البحر، وتعد من توابع أشبونة، واشتهرت بكثرة التفاح، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٧.
 - (١١) وتلفظ أيضاً لشبونة، وهي من مدن غرب الأندلس على المحيط الأطلسي، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٦١.
 - (١٢) وتعرف أيضاً قلمرية وهي من مدن غرب الأندلس، بالقرب من المحيط الأطلسي إذ تبعد عنه اثنا عشر ميلاً، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٧٢٦/٢ =

وصمورة))^(١)، في حين عدّها الإدريسي ضمن إقليم القصر بقوله: ((إقليم القصر وفيه القصر المنسوب لأبي دانس^(٢) وفيه يابورة^(٣) وبطليوس^(٤) وشريشة^(٥) وماردة وقنطرة السيف وقورية))^(٦).

كما أنها تقع على نهر تاجة Rio Tajo^(٧) وعلى الضفة الشمالية منه^(٨)، وهو ما جعلها وفيرة المياه خصبة التربة تكثر فيها بساتين الفاكهة، وقد أشار الإدريسي إلى ذلك بقوله: ((...، ولها بواد شريفة خصيبة وضياع طيبة عجيبة وأصناف من الفواكه كثيرة وأكثرها الكروم وشجر التين))^(٩).

-
- =الحميري، الروض المعطار، ص ٤٧١؛ والميل يساوي ٢ كم، ينظر: هنتس، المكابيل والأوزان الإسلامية، ص ٩٥.
- (١) المسالك والممالك، ٨٩٢/٢.
- (٢) وهم بنو دانس بن عوسجة، يرجع نسبهم إلى قبيلة مضمودة البربرية، أسلم جدهم عوسجة على يد الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦ هـ / ٧٠٥ - ٧١٤ م)، ينظر: مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص ١٨٨.
- (٣) وهي مدينة يابرة المارة الذكر.
- (٤) مدينة تقع غرب الأندلس وتعد من أعمال ماردة إذ المسافة بينهما أربعون ميلاً، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٧٩ - ٨٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٩٣.
- (٥) لم نجد لها ترجمة.
- (٦) نزهة المشتاق، ٥٣٨/٢.
- (٧) البكري، المسالك والممالك، ٨٩٢/٢؛ طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٨١.
- (٨) ينظر الخارطة.
- (٩) نزهة المشتاق، ٥٤٧/٢.

كما تمتعت مدينة قورية بحصانتها ، وقد أشار إلى ذلك الإدريسي بقوله: ((... ، ولها سور منيع وهي في ذاتها أزيدية البناء واسعة الفناء من أحسن المعامل وأحسن المنازل...))^(١) ، كما تحدث ابن غالب عن ذلك بقوله: ((... ، ومدينة قورية ولها حصون أربعة وثلاثة أقاليم))^(٢) ، والحصن في تعبير أهل الأندلس هو موضع محصن مأهول يشبه أن يكون مدينة^(٣) ، أما الإقليم فهو عند أهل الأندلس فهو عبارة عن قرية كبيرة ، وقد أشار ياقوت إلى ذلك بقوله: ((لأهل الأندلس خاصة ، فإنهم يسمون كل قرية كبيرة جامعة إقليمياً))^(٤) ، وهذا يعني أن مدينة قورية تتبعها أحواز واسعة مأهولة تصل إلى حجم المدن والقرى الكبيرة.

أما طرق التجارة ، فكانت بحرية بين سواحل الثغر الأدنى بما فيها مدينة قورية والمشرق والمغرب ، إضافة إلى الطرق البرية الداخلية ، فهناك الطريق الروماني القديم الذي استخدم في التجارة ، كما استخدم في عمليات الفتح الإسلامي للثغر الأدنى والذي يربط مدن الثغر الأدنى من قرطبة إلى المعدن^(٥) Almaden وقورية

(١) نزهة المشتاق، ٥٤٧/٢.

(٢) فرحة الأنفس، ص ٢١.

(٣) مؤنس، فجر الأندلس، ص ٦٠١.

(٤) الأندلس من معجم البلدان، ص ١٨.

(٥) وهي منطقة تقع إلى الجنوب من وادي آنه، كان غالبية سكانها من البربر البرانس، وهي غنية بمصادرها المعدنية، ينظر: ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٢٣٢ - ٢٦٧ هـ/ ٨٤٦ - ٨٨٠ م)، ص ٣٣١؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٦١؛ طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٧٩.

وسلمنقة Salamanca ثم سمورة^(١) ، وقد وصف مؤلف مجهول قورية بأنها مدينة ذات تجارات وفيرة^(٢). وكانت العملة المستخدمة في المعاملات التجارية على الأرجح في بداية الأمر هي العملة المحلية ، ولعلها القوطية ، إلى أن ضربت العملة العربية الإسلامية الذهبية والبرونزية لصرف أعطيات الجند في دار السكة القوطية بمدينة طليطلة^(٣).

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٦٦؛ السامرائي، الثغر الأدنى الأندلسي، ص ٣٨.

(٢) حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ص ١٨٢.

(٣) الحجوي، التاريخ الأندلسي، ص ٨٥؛ السامرائي، الثغر الأدنى الأندلسي، ص ٣٨.

التاريخ السياسي لمدينة قوربة

لم تشر المصادر المتوفرة لدينا إلى كيفية فتح مدينة قوربة ووقت دخول المسلمين إليها ، إلا أن بعض المؤرخين أشاروا بأن فتح مدن الساحل الغربي لشبه الجزيرة الأيبيرية Ibeeria تم على يد الوالي عبدالعزيز بن موسى بن نصير(٩٥-٩٧ هـ/٧١٣-٧١٥م)^(١) ، وما يرجح ذلك ما أكده ابن القوطية بقوله: ((وأقام عبد العزيز بفتح ما بقي من مدين الأندلس))^(٢) ، في حين أشار مؤلف مجهول إلى ذلك بقوله: ((افتتح في ولايته مداين كثيرة))^(٣) ، كما تحدث ابن الأثير عن ذلك بقوله: ((فضبطها وسدد أمورها وحمى ثغورها وافتتح في إمارته مداين بقيت بعد أبيه))^(٤) ، أما ابن عذاري فقد أورد النص الآتي: ((لما قفل موسى بن نصير ، استخلف ابنه عبد العزيز على الأندلس ، فضبط سلطانها ، وسد ثغورها ، وافتتح مدائن كثيرة))^(٥).

(١) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص٤١٣٩؛ طه، دراسات أندلسية، ص ٢٢٤.

(٢) تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٣٦.

(٣) أخبار مجموعة، ص ٢١.

(٤) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٥٥.

(٥) البيان المغرب، ٢/٢٤.

وبناءً على ما تقدم يمكننا أن نعد فتح مدينة قورية على يد الوالي عبد العزيز بن موسى ، ويبدو أن ذلك كان صلحاً ، إذ لم تزودنا المصادر بأخبار عن مواجهات عسكرية في غرب شبه الجزيرة الأيبيرية لاسيما في مدينة قورية ، ولعل ذلك يرجع إلى طلب سكان المنطقة السلم مع الجيش الإسلامي بعد ما شاهدوا الانهيار الكبير للقوات القوطية ، وفي ضوء ذلك يقول المقرئ: ((... ، وأطاعت الأعاجم فلاذوا بالسلم وبذل الجزية))^(١) ، كما أشار احد الباحثين إلى ذلك بقوله: واستمر عبد العزيز بن موسى بن نصير في فتوحاته ولعله افتتح قورية في هذه المدة وربما عقد معها صلحاً لا يختلف عن صلح قلمرية^(٢) ، وعلى الرغم من أن المصادر تحجم عن ذكر أي شيء حول افتتاحها والصلح الذي أبرم معها ، إلا أنه قام على الأرجح بفتحها والمناطق الأخرى المجاورة لها^(٣).

ليس لدينا معلومات كافية عن أسماء القبائل التي سكنت مدينة قورية بعد الفتح الإسلامي لها سواء كانت العربية أم البربرية ، إلا أن معظم المناطق الشمالية الغربية سكنتها قبائل من الفاتحين البربر وكانت تكون خطأً من نواحي جبال البرت Pirineos^(٤) ثم تنحدر إلى ناحية

(١) نضج الطيب، ٢٧٦/١.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن صلح قلمرية ينظر: مؤنس، فجر الأندلس، ص ٢٩٩.

(٣) السامرائي، الثغر الأدنى الأندلسي، ص ٧٧.

(٤) وهي سلسلة جبال فاصلة بين الجنوب الفرنسي والشمال الإسباني، ينظر:

البكري، المسالك والممالك، ٥٩٨/٢.

مدينة سالم^(١) Medinaceli وطليلة Toloedo وطليلة Talavera^(٢) وقورية وقلمرية عند ساحل البحر المحيط^(٣).

ولعل القبائل البربرية كانت أكثر وضوحاً، إذ كانت قورية ووجدانية^(٤) من المواطن الكبيرة لاستقرار البربر، وبشكل خاص أولئك الذين ينتمون إلى مصمودة^(٥)، وربما بعض أفراد قبيلة مكناسة^(٦) أيضاً^(٧).

ويبدو أن بربر مدينة قورية شاركوا في الصراع الذي حدث بين العرب والبربر في عصر الولاة، إذ ساهموا مع أبناء جلدتهم بربر

-
- (١) وهي إحدى مدن الثغر الأعلى الأندلسي، بينها وبين مدينة وادي الحجارة خمسين ميلاً، ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١١٧؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٣/٢؛ ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ٤٦١/٢.
 - (٢) مدينة أندلسية قديمة تقع على نهر تاجة وهي من أعمال طليطلة، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٩١؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٥.
 - (٣) كريباج، عناصر المجتمع الأندلسي، ص ٤٢.
 - (٤) مدينة أندلسية قديمة تقع على نهر تاجة وهي من أعمال مدينة طليطلة، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٩١؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٥.
 - (٥) وهم قبيلة كبيرة من البربر ينتمون إلى مصمودة بن برنس بن مادغس، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٥.
 - (٦) وهم قبيلة كبيرة من البربر ينتمون إلى مكناسة بن ورسطف بن يحيى بن ضرى بن زيجك بن مادغس، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٦.
 - (٧) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٠٧؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠١؛ طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٨١.

المناطق الشمالية في الأندلس الذين ثاروا ضد العرب في ولاية عبد الملك بن قطن الثانية سنة ١٢٣هـ/٧٤٠م^(١)، وكانت المشاركة البربرية كبيرة إذ ضمت بربر جليقية Galicia^(٢) وأستورقة Astorga^(٣) وماردة وقورية وطلبييرة^(٤) Talavera، ولعل من أسباب ثورة البربر على العرب - كما أشار مؤنس - هو أن الأخيرين استبدوا دونهم بخيرات البلاد، فضلاً عن استبدادهم بأمر الحكم واعتبار البربر شعباً محكوماً لا ينبغي أن يترك له نصيب في الحكم أو الإدارة، وبالمقابل لم يكن البربر يعدون أنفسهم بأقل من العرب كفاءة ولا فضلاً، فقد تحملوا أعباء الفتح، ومما زاد في الأمر استبداد القيسية من العرب، إذ كان القيسيون ذوي عصبية شديدة لا يكادون ينظرون لغيرهم نظرتهم إلى ناس مثلهم^(٥).

-
- (١) تولى عبد الملك بن قطن الفهري الأندلس مرتين الأولى كانت سنة ١١٤هـ / ٧٣٢م بعد عبد الرحمن الغافقي، والثنية كانت سنة ١٢٣هـ / ٧٤٠م، ينظر: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٦٢، ٦٨، ٦٩.
- (٢) تقع جليقية في أقصى الشمال الغربي من شبه جزيرة أيبيريا، وتحاذي حدودها من جهة الغرب سواحل المحيط الأطلسي وخليج بسكاي من جهة الشمال وتجاورها من جهة الشرق حدود بلاد البشكنس الغربية ومدينة ليون، ومن أشهر مدنها مدينة شنت ياقب، وتلك، وأشتوريس، واييط، وأقش، وغيرها، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ١٦٩.
- (٣) مدينة قديمة تقع شمال غرب شبه الجزيرة الأيبيرية، ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٨٩١/٢؛ السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص ٨٠ - ٨١.
- (٤) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٣٩ - ٤٠.
- (٥) فجر الأندلس، ص ١٩٦ - ١٩٧.

وذكر مؤلف مجهول سبباً آخر لثورة البربر في الأندلس هو أن عدوى الثورة امتدت إلى الأندلس لما سمع بربرها بظهور بربر العدو (أي المغرب) وتمكنوا فوثبوا بعرب جليقية وعرب أستورقة وأخرجوهم من بين ظهرانيهم^(١).

ولم يكتف البربر بإخراج العرب من مناطقهم ، بل جمعوا قوات كبيرة أخذت بالتقدم ، وعبرت نهر تاجه باتجاه الجنوب لمواجهة قوات الوالي عبد الملك بن قطن ، فتقدمت نحو مدينة طليطلة Toledo وحاصرتها^(٢) ، وعلى اثر ذلك استعد الوالي عبد الملك بن قطن بقواته ، وقد انضمت إليه طالعة بلج القشيري^(٣) لمواجهة قوات البربر المتواجدة في طليطلة بالقرب من وادي سليط Guazalet ، ودارت مواجهة بين الطرفين انتهت بانتصار العرب على البربر وتكبيدهم خسائر كبيرة^(٤) ، وقد علق مؤلف مجهول على هذه

(١) أخبار مجموعة، ص ٣٨.

(٢) مجهول، أخبار مجموعة، ٤٠.

(٣) هو بلج بن بشر القشيري كان قد أرسله الخليفة هشام بن عبد الملك مع كلثوم بن عياض القشيري لمحاربة البربر الثائرين في المغرب، وبعد هزيمة جيشهم حاصر البربر بلج مع قواته الشامية في سبتة، ولما ثار بربر الأندلس استعان واليها عبد الملك بن قطن بقوات بلج لمساعدته على إخماد الثورة فعبر إلى الأندلس وحقق نجاحات كبيرة ثم ثار على عبد الملك وتولى الأندلس مكانه وبقي سنة حتى ثار عليه ابني عبد الملك وقتلاه وذلك سنة ١٢٤هـ / ٧٤١م، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٠/٢ - ٣١.

(٤) مجهول، أخبار مجموعة، ٤٠.

الأحداث بقوله ((... وحشدوا من جليقية واستورقة وماردة وقورية وطلبيرة فاقبلوا في شيء لا يحصيه عدد حتى أجازوا نهر يقال له تاجه يريدون عبد الملك بن قطن وأخرج إليهم عبد الملك ابنه قطناً وأمياً في عرب الشام أصحاب بلج وعرب البلد فلما بلغ البربر إقبال الجيوش إليهم حلقوا رؤوسهم اقتداءً بميسرة^(١) ولكي لا يخفى أمرهم وليضربوا ولا يختلطوا ثم أقبلوا إلى مدينة طليطلة وصمد عبد الملك بمن معه وأمياً بمن معه صدمهم فالتقوا في أرض طليطلة على وادي سليط فاقتتلوا قتالاً شديداً وأقبل أهل الشام عليهم حنقين ، فقاتلوا قتال مستبسلين فمنحهم الله أكتاف البربر فقتلوهم قتلاً ذريعاً أفنوهم به فلم ينج منهم إلا الشريد فركب أهل الشام ولبسوا السلاح ثم فرقوا الجيوش في أرض الأندلس فقتلوا البربر حتى أطفؤا جمرتهم...))^(٢).

ويبدو أن النصاري قد استغلوا هذه الصراعات الداخلية بين المسلمين لاسيما بين العرب والبربر من أجل استرجاع المناطق التي خضعت لحكمهم ، وفعلاً تمكن ملك جليقية الفونسو الأول Alfonso I الملقب بالكاثوليكي (١٢١-١٤٠ هـ / ٧٣٨-٧٥٧ م) من السيطرة على

(١) ميسرة المطغري كان رأس الخوارج الصفيرية في بلاد المغرب ثار على الثواني الأموي عبيد الله بن الحبحاب السلوي سنة ١٢٢ هـ / ٧٣٩ م واستطاع هزيمة الجيش الأموي هناك، إلا أنه تراجع أخيراً أمام الجيش الأموي مما حدا باتباعه إلى تحميله مسؤولية ذلك فقتلوه ووثلوا مكانه خلد بن حميد الزناتي، ينظر: الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ٧٣ - ٧٤.

(٢) أخبار مجموعة، ٤٠.

معظم الأراضي الأندلسية الواقعة شمال نهر دويرة Rio El Duero^(١) ،
فالتجأ أهلها إلى مناطق الجنوب لاسيما قورية وماردة سنة ١٣٦هـ
/٧٥٣م ، وهذا ما أكده مؤلف مجهول بقوله: ((...فأخرجوا أيضاً
المسلمين عن استورقة وغيرها وانضم الناس إلى ما رواء الدرب الآخر
والى قورية وماردة في سنة ست وثلثين...))^(٢).

وعندما تولى الأمير عبد الرحمن الأول (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٨م)
اهتم بتقوية الثغور ولاسيما الثغر الأدنى ، والذي تقع ضمنه مدينة
قورية ، بدءاً من نهر دويرة حتى أعالي أوسمة Osmā^(٣) ، إذ اهتم
بتحصين قلمرية وقورية وطلبيرة وطليلة ، قبل عنايته بالمناطق المحيطة
بوادي الحجارة Guadalajara^(٤) وتطيلة Tudela^(٥) وبنبلونة
Pamplona^(٦) ، ثم عمل جاهداً ومحاولاً استرجاع الأراضي التي
احتلها الفونسو الأول والتي استرجعت فيما بعد^(٧).

-
- (١) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٦٢؛ ابن خلدون، العبر، ١٨٠/٤.
 - (٢) أخبار مجموعة، ٦٢؛ وينظر أيضاً: أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص ٦٢.
 - (٣) مدينة تقع غرب الأندلس، ينظر: مؤنس، فجر الأندلس، ص ٣٤٩.
 - (٤) مدينة أندلسية تعرف بمدينة الضرج بينها وبين طليطلة خمس وستون ميلاً، وهي إلى الشمال الشرقي من قرطبة، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٩١-٢٩٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٦٠٦.
 - (٥) إحدى مدن الثغر الأعلى الأندلسي وتقع شمال مدينة سرقسطة وتبعد عنها خمسين ميلاً وتتصل بأعمال وشقة، ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص ١٩٥؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٧٣٣/٢.
 - (٦) وهي عاصمة مملكة نافار تبعد عن مدينة سرقسطة مائة وخمسة وعشرون ميلاً، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٥٥-٥٦.
 - (٧) السامرائي، الثغر الأدنى الأندلسي، ص ١١٩؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص ١٧٠؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص ٣٥٠.

أما على الصعيد الداخلي ، فقد خضعت مدينة قورية وبعض مناطق الغرب الأندلسي لسيطرة المتمرّد شقيا بن عبد الواحد المكناسي إذ قام بثورة بربرية خطيرة في شمال شرق الأندلس سنة ١٥١هـ/٧٦٨م وادعى النسب الفاطمي ودعا الناس إلى اعتناق الدعوة العلوية ، فالتف حله الكثير من البربر وعظم أمره ثم سار إلى منطقة شنتبرية Santebria^(١) ، وعلى إثر ذلك ترأس الأمير عبد الرحمن الداخل حملة عسكرية كبيرة لقتاله ، إلا أنها لم تستطع من الظفر والإيقاع به ، إذ كان شقيا يتبع خطة عسكرية محكمة^(٢) ، لأنه لم يقدم ويتصادم مع الجيش الأندلسي ، لذلك عاد الأمير عبد الرحمن إلى قرطبة وعهد إلى والي مدينة طليطلة حبيب بن عبد الملك^(٣) بقمع ثورة الفاطمي ، فاستخدم حبيب على شنتبرية سليمان بن عثمان بن مروان بن أبان بن عثمان بن عفان واسند مهمة الدفاع عنها ضد شقيا ، وأمر بالقبض عليه ، ولكن الأخير شعر بتفوق قواته فأحدر من الجبال واستولى على شنتبرية وقتل واليها سليمان بن عثمان ، بعد ذلك تمكن شقيا من السيطرة على قورية في السنة نفسها ، فقد أشار ابن الأثير إلى أنه

(١) مدينة أندلسية تعد من أعمال طليطلة وتتصل بأحواز مدينة سالم، ينظر: ابن

غالب، فرحة الأنفس، ص ١٩؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٧١.

(٢) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٠٧ - ١١.

(٣) هو حبيب بن عبد الملك بن عمر بن عبد الملك بن مروان دخل الأندلس

قبل الأمير الداخل، وكانت له مكانة كبيرة عند الأمير، فولاه طليطلة

وأعمالها، وتوفي في أيامه وشهد جنازته وصلى عليه، ينظر: ابن الأثير، الحلة

السيراء، ١/٥٩ - ٦٠؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ١/٦٢، ١٠/٢.

((غلب على ناحية قورية وأفسد في الأرض))^(١).

وبذلك خرجت قورية من سيطرة حكومة قرطبة وخضعت إلى شقيا المكناسي بعد أن قام بقتل واليها بمساعدة أهلها من البربر^(٢) ، وفي سنة ١٥٧هـ/٧٧٣م خرج الأمير عبد الرحمن بجيش كبير فسار إلى أن وصل إلى مدينة قورية ، وقد شدد على البربر من أهلها لأنهم كانوا موالين لشقيا ، فقتل الكثير منهم لاسيما كبار رجالاتهم ، واتبع الثائر شقيا الذي فرّ بمجموعه وتبعه الأمير الداخل إلا أنه لم يستطع القبض عليه فكر راجعاً إلى قرطبة^(٣) ، وتكرر ذلك سنة ١٥٨هـ/٧٧٤م إذ سير الأمير الداخل جيشاً آخر لقتال شقيا لكنه اعتصم بمفارز الجبال كعادته فعاد الجيش إلى قرطبة دون أن ينال منه^(٤) ، وفي سنة ١٥٩هـ/٧٧٥م أرسل الأمير الداخل قواته مرة أخرى إلى قورية ودخلها ونكل بالبربر الذين أعانوا شقيا إلا أن الأخير تمكن من الفرار ، وقد علق ابن عذاري على ذلك بقوله: ((... ، وقتل منهم خلقاً كثيراً وأذلهم))^(٥).

بعد ذلك وضعت حكومة قرطبة خطة أخرى للقضاء على ثورة شقيا ، ذلك بأن استمالت اثنين من أصحابه ، فأتمرا به فقتلاه واحتزا رأسه وتوجها به إلى الأمير عبد الرحمن الداخل وكان ذلك

(١) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٠٠.

(٢) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٠٤.

(٣) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١١١؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل

في التاريخ، ص ١٠٤؛ النويري، نهاية الأرب، ١٦٥/٢٢.

(٤) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٠٤.

(٥) البيان المغرب، ٥٥/٢.

سنة ١٦٠ هـ/ ٧٧٦م^(١) ، وبذلك عادت مدينة قورية إلى حضيرة حكومة قرطبة بعد بقاء مسرحاً للعمليات بين قوات الإمارة وأنصار شقيا المكناسي لمدة تسع سنوات.

ويبدو أن بربر قورية بقوا حانقين على حكومة قرطبة لما أصابهم أثناء ثورة شقيا فكانوا على الاستعداد للانضمام لأي خارج على السلطة ، فعندما ثار أبو الأسود محمد بن يوسف الفهري^(٢) في جهات طليطلة سنة ١٦٨ هـ/ ٧٨٤م لاحقته قوات الإمارة ففر إلى قورية الذين رحبوا به وناصروه لاسيما بربر نفزة^(٣) ، عنها خرج الأمير عبد الرحمن الداخل إلى قورية وعندما وصلها فر منها الفهري ، بينما أدركت قوات الأمير أنصاره من بربر نفزة فأوقع بهم

-
- (١) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١١١؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٠٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٥٥؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٢/١٦٤، ١٦٣؛ ابن خلدون، العبر، ٤/١٢٣؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١/١٦٥ .
- (٢) هو محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الفهري كان قد سجن بعد مقتل أبيه وبقي مدة ثم تظاهر أنه بصير وأخذ يحاكي العميان فلما وثق به الموكلون بالسجن فر إلى طليطلة وذلك سنة ١٦٨ هـ/ ٧٨٤م واجتمع له خلق كثير فأرسل إليه الأمير الداخل من هزمه، إلا أنه تمكن من الفرار ثم عاود القتال سنة ١٦٩ هـ/ ٧٨٥م ولكنه فر إلى قورية فلاحقته قوات الإمارة، وبقي إلى سنة ١٧٠ هـ/ عندما تمكنت قوات الإمارة من تفريق جموعه فهلك في قرية من أعمال طليطلة ، ينظر: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١١١ - ١١٢ .
- (٣) بنو نفزة ينتسبون إلى نفزة بن لوي الكبير بن زبيك بن ماذغس بن بر، ينظر: ابن جزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٥ - ٤٩٦ .

الأمير((فأذلهم وقتل فيهم))^(١) ، وفي نص آخر ((أذلهم وأذهب عاديتهم))^(٢)

وقد ربط أحد الباحثين بين بربر نفزة ومحمد بن يوسف الفهري بقوله: ومن المرجح أن بربر نفزة كانوا يسكنون قورية وكانوا من أشد المؤيدين لمحمد بن يوسف الفهري^(٣).

وقد تحدث ابن الأبار عن هذه الحادثة بقوله: ((... ، وقتل لأبي الأسود فيها أربعة آلاف من أصحابه سوى من تردى في النهر ووقع في المهوي وتلف في الشعاب وبلغ في هزيمته إلى قسطلونة^(٤) على وادي الأحمر ومضى على وجهه إلى ناحية الغرب فبلغ مدينة قورية وتمادى في شروده وخلافه إلى أن هلك في سنة سبعين ومائة ، وقيل إن عبدالرحمن غزاه في سنة سبعين فلما أحس به فر عن قورية وأنقطع وحده وانحاز إلى غياض أشبة ثم صار إلى ركانة من طليطلة فمات هنالك))^(٥).

وفي عهد الأمير عبد الرحمن الثاني(٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢م) تحرك بربر قورية وماردة وخرجوا عن الطاعة ، مما دفع القائد الأندلسي عبد الله بن كليب^(٦) إلى مهاجمتهم سنة ٢١١هـ/٨٢٦م ، وقد علق بن حبان على

(١) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١١٢.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٧/٢ - ٥٨.

(٣) حسين، ثورات البربر في الأندلس، ص ٢٧.

(٤) مدينة أندلسية بالقرب من بسطة، ينظر: القزويني، آثار البلاد، ص ٥٥٣.

(٥) الرحلة السيرة، ٣٥٢/٢ - ٣٥٣.

(٦) هو أخو عامر بن كليب بن ثعلبة بن عبيد الجذامي قائد الأمير عبد الرحمن الداخل، وقد اشتهر عبد الله بن كليب بمحاربة أسرة بني قسي في

ذلك بقوله: ((وغزا فيها أيضاً عبد الله بن كليب بن ثعلبة الجذامي بربر أهل ماردة، فدخل قورية، فلما انتهى إلى أم سرغين^(١)، هجم عليه لب بن خالد في البربر، فأفسد عسكره، وقتل قوماً من وجوههم، منهم مروان الجليقي^(٢)، وعبيد الله بن عمر الصوفي^(٣)، في أكثر من ثلاثين من خيارهم، وتفرق الناس، وبطلت الصائفة))^(٤).

ويبدو أن موقف بربر قورية وبعض مناطق الغرب الأندلسي المعارض لحكومة قرطبة قد جعلها فيما بعد ملجأً يحتمي بها بعض الشخصيات الخارجة عن الطاعة ومنهم مهاجر بن سليمان بن مارتين وهو من أصحاب المتمرّد محمود بن عبد الجبار^(٥)، إلا أنه انشق عنه هو وأبوه سليمان سنة ٢١٨ هـ/٨٣٣ م فلاحقته قوات الإمارة الأندلسية وتمكنت من قتل سليمان فيما رجع مهاجر بن سليمان إلى محمود بن عبد الجبار، وبعد مواجهات مع قوات

=الثغر الأعلى، ينظر: ابن الأبار، الحلة السيرة، ١/١٦١.

(١) مدينة أندلسية تقع بين ماردة وقورية، ينظر: ابن حبان، المقتبس (للحقبه ١٨٠ - ٢٣٢ هـ/٧٩٦ - ٨٤٦ م)، ص ٥٦١ هامش (١٣٢).

(٢) وهو والد عبد الرحمن بن مروان الجليقي الذي ثار في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني، وقتل مروان سنة ٢١١ هـ/٨٢٦ م في الحادثة أعلاه، ينظر: ابن حبان، المقتبس (للحقبه ١٨٠ - ٢٣٢ هـ/٧٩٦ - ٨٤٦ م)، ص ٤٢١.

(٣) لم نجد له ترجمة.

(٤) المقتبس (للحقبه ١٨٠ - ٢٣٢ هـ/٧٩٦ - ٨٤٦ م)، ص ٤٢١.

(٥) يرجع نسب محمود بن عبد الجبار بن راحلة إلى قبيلة مضمودة البربرية ثار في ماردة وسيطر على بعض مناطق غرب الأندلس ثم قتل سنة ٢٢٥ هـ/٨٣٩ م، ينظر: ابن حبان، المقتبس (للحقبه ١٨٠-٢٣٢ هـ/٧٩٦ - ٨٤٦ م)، ص ٤٣٦ - ٤٤٥.

الإمارة هرب محمود بن عبد الجبار وأصحابه إلى الفونسو الثاني Alfonso II (١٧٥-٢٢٧ هـ/٧٩١-٨٤١م) ملك جليقية وبقي عنده مدة إلا أنه ندم بعد ذلك على فعلته وكتب الأمير عبد الرحمن الثاني في الرجوع إلى الطاعة فبذل له الأخير الأمان ولكن ملك جليقية اكتشف أمره وقتله سنة ٢٢٥هـ/٨٣٩ م وسبى أهله^(١).

إلا أن مهاجر بن سليمان بن مارتين تمكن من الهرب ولحق بمدينة قورية واحتمى بها في السنة نفسها ، وقد أشار ابن حيان إلى ذلك بقوله: ((... فانقضى أمر محمود في هذا الوقت ، على ما وصفناه ، إلا مهاجر بن سليمان بن مرتين زعيمهم في جميعة من فرسان أصحابه لحقوا بمدينة قورية وبها يومئذ قبائل مختلفة من البرابر ، من أوربة^(٢) وصنهاجة^(٣) ومصمودة وغيرهم ، مع قوم من البلديين والعجم ، فلما جاءهم مهاجر عرض عليهم نفسه ودعاهم إلى القيام فاستجابوا له فأطاعوه ، فأقام عندهم ، وكان قتل محمود بن عبد الجبار سنة خمس وعشرين ومائتين))^(٤).

أما المدة التي بقاها مهاجر بن سليمان بن مرتين في قورية وهل كان على طاعة حكومة قرطبة أم لا فإن المصادر المتوفرة لم توضح

(١) ابن حبان، المقتبس (للحقبه ١٨٠- ٢٣٢ هـ/٧٩٦- ٨٤٦ م)، ص ٤٤٤- ٤٤٥.

(٢) ينتسبون إلى أوربة بن برنس بن ماذغس بن بر، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٥.

(٣) ينتسبون إلى صنهاجة بن برس بن ماذغس بن بر، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٥.

(٤) المقتبس (للحقبه ١٨٠- ٢٣٢ هـ/٧٩٦- ٨٤٦ م)، ص ٤٤٥.

ذلك ولكن تطورات الأحداث في الغرب الأندلسي لاسيما في مدينة ماردة وثورة البربر^(١) هناك كلها توحى بأن الوضع في مدينة قورية بقي بيد أهلها مدة من الزمن.

وقد تعرضت مدينة قورية في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني (٢٣٨-٢٧٣هـ / ٨٥٢-٨٨٦م) لهجمات النصارى الأسبان ، إذ انتهز ملك جليقية أرونيو الأول (٢٣٦-٢٥٢هـ / ٨٥٠-٨٦٦م) انشغال حكومة قرطبة بالقضاء على التمردات الداخلية ، فعبر نهر دويرة وهاجم مدينة قورية ، وتمكن من أسر والي المدينة ، ثم هاجم مدينة شلمنقة وهزم المسلمين ، وعاث في تلك المناطق الخراب والدمار^(٢).

وعلى إثر ذلك سير الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني حملة عسكرية إلى الشمال الاسباني أولى قيادتها إلى ولده المنذر واخترق ألبة والقلاع ، وتمكن من هزيمة النصارى في كل موطن ووصل إلى بنبلونة وعاث في نواحيها ، ويؤرخ ابن الأثير ذلك بسنة ٢٥١هـ / ٨٦٥م^(٣).

والراجح أن حكم قورية آل إلى أحد أبنائها من البربر وهو محمد بن تاجيت بن مناع المصمودي^(٤) ، وقد أشار إلى ذلك ابن

(١) ينظر التفاصيل عن ثورات البربر في الغرب الأندلسي: سالم تاريخ بطليوس الإسلامية، ص ٢٤٣ وما بعدها.

(٢) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١/٣٦٠.

(٣) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٩٣؛ ينظر أيضا: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١/٣٦٠.

(٤) محمد بن تاجيت هو محمد بن تاجيت بن مناع بن مسعود بن الفرج بن راشد المصمودي من أهل لجذانية وقورية ثم توارثت أسرته الحكم هناك، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠١.

حزم بقوله: ((ومسعود بن تاجيت بن محمد بن محمد بن تاجيت بن مناع بن مسعود بن الفرج بن راشد ، صاحب ماردة هو وأبوه وجدّه ، وكانوا أصحاب قورية ووجدانية ،...))^(١).

وسبب اضطراب الأمور وكثرة الثورات على حكومة قرطبة طمع محمد بن تاجيت المصمودي بمد نفوذه إلى بقية مناطق الغرب الأندلسي فهاجم ماردة ودخلها وأخرج منها العرب وبربر كتامة ، وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك بقوله: ((كان محمد بن تاجيت من مصمودة ، وثار بناحية الثغر أيام الأمير محمد ، وزحف إلى ماردة وبها يومئذ جند من العرب وكتامة ، فأعمل الحيلة في إخراجهم منها ، ونزلها هو وقومه مصمودة))^(٢) وتحالف مع عبد الرحمن بن مروان الجليقي^(٣) إذ ساعده على احتلال ماردة وفي مواجهة قوات حكومة قرطبة التي أرسلها الأمير محمد^(٤) ، إلا أن هذا التحالف لم يدم

(١) جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠١.

(٢) العبر، ٤/١٧١.

(٣) كان أبوه مروان قد تمرد في مدينة ماردة في عهد الأمير الحكم بن هشام سنة ٢٠١ هـ/٨١٦ م وبعدها رجع إلى طاعة الأمير عبد الرحمن الثاني، وقد خلف عبد الرحمن أبوه في حكم مدينة بطليوس وقام ببناؤها بإذن من الأمير عبد الله بن محمد وأسس له إمارة مستقلة فيها حتى انتزعها منهم عبد الرحمن الناصر سنة ٣١٧ هـ/٩٢٩ م ، ينظر: ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٢٣٢ - ٢٦٧ هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠ م)، ص ٣٦٠ - ٣٧٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٩٣؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣٠٣/١ - ٣٠٧، ٣٣٨ - ٣٣٩.

(٤) ابن خلدون، العبر، ٤/١٧١.

طويلاً فسرعان ما اختلفا وقامت الحرب بين عبد الرحمن الجليقي ومحمد بن تاجيت كانت نتيجتها هزيمة الأخير ، وقد علق ابن خلدون على ذلك بقوله: ((... ، وعظمت الفتنة بينه وبين عبد الرحمن بن مروان صاحب بطليوس بسبب مظهرته عليه ، وحاربه فهزمه ابن مروان مراراً كانت إحداها على لقنت^(١) ، استلحم فيها مصمودة فقصّت من جناح ابن تاكيت))^(٢).

ولما كان البربر يشكلون غالبية السكان هناك لاسيما مدن قورية ووجدانية وماردة وكانوا آنذاك بسبب اضطراب الأوضاع خارج طاعة حكومة قرطبة^(٣) ، كما أنهم لم يطمئنوا إلى عبد الرحمن الجليقي بسبب علاقته مع النصاري^(٤) وتنكيله بهم ، فشكّلوا وفداً وجاءوا إلى الوزير هاشم بن عبد العزيز^(٥) مع أميرهم محمد بن تاجيت وأعلنوا الطاعة وذلك سنة ٢٦٢هـ / ٨٧٥م ، فقبلهم ، وقد تحدث عن

(١) وهي موضع في غرب الأندلس من أعمال ماردة، ينظر: ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٣٠٠ - ٣٣٠ هـ /) ص ٢٤١، وهناك مواضع أخرى في الأندلس تدعى لقنت، ينظر عنها: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٤٩ هامش (٥).

(٢) العبر، ١٧١/٤.

(٣) حسين، ثورات البربر في الأندلس، ص ٤٥.

(٤) تحالف عبد الرحمن بن مروان الجليقي مع النصاري ضد حكومة قرطبة، ينظر التفاصيل: ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٢٣٢-٢٦٧ هـ / ٨٤٦-٨٨٠ م)، ص ٣٨٤، ٣٧٩.

(٥) كان وزير الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني، وهو أديباً وكاتباً بليغاً، قتله الأمير المنذر بن محمد سنة ٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م لأشياء كانت بينهما في حياة أبيه ، ينظر: الضبي، بغية الملتمس، ص ٤٤٩؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ١/ ١٣٧ - ١٤٤.

ذلك ابن حيان بقوله: ((وقدم على هاشم في مكانه جميع البرانس من لجدانية وقورية مع أميرهم محمد بن تاجيت بأهليهم وأموالهم منحاشين إلى الطاعة ، فقبلهم هاشم ، وسرّ بقدمهم ، وأنزلهم في أقاليم ماردة...))^(١).

ويبدو أن مدينة قورية قد خضعت فيما بعد لسيطرة عبد الرحمن الجليقي بعد أن غادرها محمد بن تاجيت المصمودي إلى ماردة ، إذ استولى الجليقي على قسم كبير من منطقة الثغر الأدنى الأندلسي بما فيها قورية^(٢) ، وصار رئيس المولدين^(٣) هناك^(٤).

كما تعرضت مدينة قورية لهجمات النصارى الأسبان في عهد ملك جليقية الفونسو الثالث Alfonso III (٢٥٢-٢٩٧هـ/٨٦٦-٩٠٩م) ، إذ هاجم الأخير بقواته المدينة بعد أن عبر نهر دويرة إلى أراضي الثغر الأدنى ووصل إلى ضفاف نهر تاجة وهاجم مدن قورية وقلمرية وماردة ويازو^(٥) وشلمنقة ، إلا أنه لم يستطع الاحتفاظ بها ، ولكنه تمكن من الحد من هجمات المسلمين على مناطق حكمه وإبعاد خطرهم عنها^(٦).

(١) المقتبس (للحقبه ٢٣٢- ٢٦٧ هـ / ٨٤٦- ٨٨٠ م) ، ص ٣٦٣ .

(٢) السامرائي، الثغر الأدنى الأندلسي، ص ٢٥٩ .

(٣) وهم الأسبان سكان البلاد الذين دخلوا الإسلام وأقاموا في مواضعهم، ينظر: مؤنس، فجر الأندلس، ص ٤٦٩ .

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٠٨ .

(٥) مدينة تقع في غرب الأندلس في البرتغال الحالية، ينظر: ابن حيان، المقتبس (للحقبه ١٨٠- ٢٣٢ هـ / ٧٩٦- ٨٤٦م) ، ص ٤٢١ .

(٦) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١/٣٦١ .

وفي عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠ هـ/٩١٢-٩٦١م) ولم تكن النصوص المتوفرة تفصح كثيراً عن الأوضاع في مدينة قورية ، ولعل ذلك بسبب موقعها الثغري في أقصى الغرب بين حدود المسلمين ومملكة ليون Leon وهيمنة الأحداث الكبيرة التي وقعت سواءً بين الجانبين الإسلامي والنصراني أم داخل دولة المسلمين في الأندلس على اهتمامات المصادر^(١) ، ولكن المسلمون من أجل المحافظة عليها وعلى بقية مناطق الثغر عملوا على تحصين الحدود على طول خط نهر تاجة وما بينه وبين السفوح الجنوبية لجبال الشارات حماية لطليطلة وقورية وقلمرية وما بمستواها من المدن الأندلسية ، وقد استفاد الأندلسيون من الطبيعة الجغرافية لإنشاء سياج من الحصون والقلاع لحمايتها والتي كانت تحمل إضافة لخصائصها الحربية خصائص تعليمية إسلامية^(٢).

ويفهم من بعض النصوص أن مدينة قورية تعرضت أيام الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ/٩٦١-٩٧٦م) إلى حملة عسكرية

(١) يأتي في مقدمة ذلك حركات التمرد التي شهدتها الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي والتي استمرت حتى عهد عبد الرحمن الناصر والتي أخذت منه الكثير من الوقت والجهد حتى تمكن من إخمادها لاسيما حركة ابن حفصون، ينظر عن الجبهة الداخلية الإسلامية آنذاك: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١/٣٠٨ وما بعدها؛ وعلى صعيد العلاقة مع النصراني ازدادت هجماتهم على الأراضي الإسلامية بسبب ظروف حكومة قرطبة أعلاها، ينظر التفاصيل: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١/٣٥٧ وما بعدها.

(٢) السامرائي، الثغر الأدنى الأندلسي، ص ١٦٩.

نصرانية تمكنت من اقتحامها وعاثوا فيها إلا أنهم انسحبوا منها تحت ضغط القوات الإسلامية وذلك سنة ٣٥٣ هـ / ٩٦٤ م ، وهو ما أشار إليه المقرئ بقوله: ((ولأول وفاة الناصر طمع الجلالقة في الثغور ، فغزا الحكم المستنصر بنفسه ، واقتحم بلد فردلند بن غند شلب^(١) ، فنازل شنت اشتبين^(٢) وفتحها عنوة واستباحها ،... ، وكان شانجة بن رذمير^(٣) ملك البشكنس^(٤) قد انتقض ، فأغراه الحكم التجيبي^(٥) صاحب سرقسطة^(٦) في العساكر ، وجاء ملك الجلالقة^(٧)

-
- (١) يقصد به فرناند كونثال أمير قشتالة الذي توفي سنة ٣٥٩ هـ / ٩٦٩ م ، ينظر: العلياوي، البشكنس، ص ١٦٨ .
- (٢) وهو من حصون الثغر الأعلى قال عنه ابن حيان عند حديثه عن غزوة مونش التي قام بها عبد الرحمن الناصر سنة ٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م: حصن قاشطرة مورش وهو حصن شنت اشتبين، المقتبس (للحقة ٣٣٠.٣٠٠ هـ / ٩٤١.٩١٢ م)، ص ١٦٣ .
- (٣) ويقصد به ملك البشكنس غرسيه شانجة الأول الذي حكم للمدة ٣١٤ - ٣٥٩ هـ / ٩٦٦ - ٩٦٩ م) ينظر: العلياوي، البشكنس، ص ١٥٢ ، ١٦٨ .
- (٤) تقع بلاد اليشكنس شمال شبه جزيرى أيبيريا وهو إقليم يمتد عبر جبال البرت الغربية على الحدود ما بين فرنسا وأسبانيا حتى شاطيء خليج بسكاي، ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٢/ ٨٩٤؛ العلياوي، البشكنس، ٢٤ .
- (٥) هو يحيى بن محمد بن هاشم التجيبي صاحب الثغر الأعلى وقاعدته سرقسطة استدعاه الحكم المستنصر لدعم غالب بن عبد الرحمن ضد الحسن بن كنون في بلاد المغرب سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م وبعد عودة غالب إلى الأندلس أصبح واليا على المغرب إلى أن استبدله الحاجب جعفر المصحفي بجعفر بن علي بن حمدون سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م، ينظر: مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص ٩٩ وما بعدها؛ ابن عناري، البيان المغرب، ٢/ ٢٤٧ - ٢٤٩ .
- (٦) مدينة تقع شمال شرق الأندلس وعرفت بالمدينة البيضاء لكثرة جصها وجيارها، ولها أسوار منيعة وتشتهر بإنتاج الفاكهة، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٣١٧ .
- (٧) ويقصد به فرناندو كونثال ملك قشتالة .

لنصره ، فهزمهم ، وامتنعوا بقورية ، وعاثوا في نواحيها ، وقفل))^(١).
 وفي عهد الخليفة هشام المؤيد(٣٦٦-٣٩٩ هـ/٩٧٦-١٠٠٨م) برز دور
 الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر(٣٦٦-٣٩٢ هـ/٩٧٦-١٠٠١م)
 وسياسته الجهادية ضد الممالك النصرانية ، إذ قاد العديد من الحملات
 العسكرية أحصيت أكثر من خمسين حملة^(٢) ، وأصبحت مدينة
 قورية ممراً لحملته العسكرية سنة ٣٨٧ هـ/٩٩٧ م ، المتوجه إلى منطقة
 جليقية ، إذ تمكن خلالها من فتح العديد من المدن ، وقد أشار المقري
 إلى هذه الحملة بقوله: ((... ، فخرج المنصور إليها من قرطبة غازياً
 بالصائفة يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين
 وثلاثمائة ، وهي غزوته الثامنة والأربعون ، ودخل على مدينة قورية ، فلما
 وصل إلى مدينة غليسية-جليقية - وافاه عددٌ عظيم من القوامس
 المتمسكين بالطاعة في رجالهم ، وعلى أتم احتفالهم ، فصاروا في عسكر
 المسلمين ، وركبوا في المغاورة سبيلهم...))^(٣).

كما تحدث عنان عن هذه الحملة بقوله: فخرج من قرطبة في
 الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٣٨٧ هـ/٣ يولييه ٩٩٧م على
 رأس قوى الفرسان ، وفي الوقت نفسه تحرك الأسطول الأندلسي ،
 الذي أعده المنصور لهذه الغزوة الكبرى ، من مرساه أمام قصر أبي

(١) نضح الطيب، ٢٨٢/١- ٢٨٣.

(٢) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢٢٦؛ ابن عذاري، البيان

المغرب، ٣٠١/٢؛ ابن خلدون، العبر، ١٥٢/٤.

(٣) نضح الطيب، ٤١٤/١.

دانس في مياه البرتغال الغربية ، شمالاً بجذاء الشاطئ البرتغالي ، يحمل المشاة والأقوات والذخيرة ، واخترق المنصور اسبانيا الغربية شمالاً ، وهو يعبر الجبال والأنهار العظيمة تبعاً ، حتى وصل إلى مدينة قورية ، ثم زحف نحو الشمال الغربي ، واستولى في طريقه على مدينتي بازو وقلمرية^(١) .

وبعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م^(٢) ، انقسمت الأندلس إلى دويلات طوائف ، وكانت منطقة غرب الأندلس تغلب عليها بنو الألفس^(٣) ، واتخذوا بطليوس Badajoz قاعدة لإمارتهم ، وكانت مدية قورية ضمن مناطق نفوذهم ، إذ شمل نفوذهم المناطق الممتدة من منتصف نهر وادي أنه Rio Guadiana حتى المحيط الأطلسي ، وشمل كذلك قسم من نهر وادي تاجة شمالاً حتى مدينة قورية^(٤) .

(١) دولة الإسلام في الأندلس، ١/٥٦٠ - ٥٦١ .

(٢) لمزيد من التفاصيل عن سقوط الخلافة الأموية في الأندلس، ينظر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢/٥٨٨ - ٦٢٢؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٢٠٩ - ٢١٧ .

(٣) وهم أسرة بربرية ترجع إلى قبيلة مكناسة، ومن قاعدتهم بطليوس حكموا بطليوس وغرب الأندلس من سنة ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م حتى سقوطهم على أيدي المرابطين سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م، ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/١٨٠ - ١٨٣ .

(٤) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢/٩٠ ؛ سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية، ص ٢٠٦، ٣٥٨ .

سقوط مدينة قورية

وشهدت إمارة بطليوس في عهد أميرها عمر المتوكل (٤٦٠-٤٨٨هـ
١٠٦٧-١٠٩٥م) هجوماً شرساً عليها من قبل الفونسو السادس (٤٥٨-
١٠٦٥/١١٠٨م) ملك قشتالة Castilla ذلك أن الأخير أرسل إلى
المتوكل في بداية حكمه يطالبه بتقديم الأتاوة إليه ويهدده بشر العواقب
وجاء ذلك في رسالة بعثها ابن الأفطس إلى يوسف بن تاشفين (٤٥٣-
١١٠٦-١١٠٦م) ، قال: ((وقد وصل إلينا من عظيم الروم كتاب مدع
في المقادير ، وأحكام العزيز القدير ، يرعد ويبرق ، ويجمع تارة يفرق ،
ويهدد بجنوده الوافرة ، وأحواله المتضافرة...))^(١) ، ولما لم يستطع تلبية
طلبه قام بمهاجمة مدينة قورية والاستيلاء عليها في سنة ٤٧١ هـ/١٠٧٨م
وسيطر عليها ، وقد أشار إلى ذلك ابن أبي زرع بقوله: وفي هذه ((السنة
ملك الفنش مدينة قورية فأخرج منها المسلمون))^(٢).

ولعل سقوط مدينة قورية بيد النصارى شكل خطورة وإنذار
مبكر على تواجد المسلمين في الأندلس حتى وصف سقوطها

(١) مؤلف مجهول، التحلل الموسية، ص ٣٦.

(٢) الأنيس المطرب، ص ١٦٨؛ ينظر أيضاً: عنان، دولة الإسلام في الأندلس،

٩٠/٢ إلا أنه أشار أن قورية سقطت بيد النصارى سنة ٤٧٣ هـ/١٠٨٠م.

المتوكل بن الأفطس سقوطها بالنازلة وأنها مؤذنة للجزيرة بالخلاء^(١) ،
فقرر أمراء الطوائف استدعاء أمير المرابطين Almoravides, Los^(٢)
يوسف بن تاشفين ومكاتبته قبل سقوط مدينة طليطلة^(٣) أي سنة
٤٧٤هـ/١٠٨١م ، وهذا ما كده مؤلف مجهول بقوله: ((وفي سنة أربع
وسبعين وأربعمائة ، وفد عليه جماعة من أهل الأندلس ، وشكوا
إليه ما حل بهم من أعدائهم ، فوعدهم بإمدادهم ، وإعانتهم ،
وصرفهم إلى أوطانهم))^(٤).

وكان في مقدمة من كتب إليه المتوكل بن الأفطس ، وقد أشار في
رسالته ما حل من نكبة بالمسلمين بسبب سقوط مدينة قورية بيد
النصارى ، ويستنصره إلى الجهاد ، وجاء فيها: ((لما كان نور الهدى -
أيديك الله - دليلك ، وسبيل الخير سبيلك ، ووضحت في الصلاح
معالمك ، ووقفت على الجهاد عزائمك ، وصح العلم بأنك لدعوة

(١) مؤلف مجهول، التحلل الموشية، ص ٣٥.

(٢) يرجع تأسيس الدولة المرابطية إلى قبيلة لمتونة، إحدى بطون صنهاجة من
البرانس، وقد قامت الدعوة المرابطية سنة ٤٤٨ هـ/١٠٥٦ م على أساس العقيدة
الدينية الإسلامية على يد عبد الله بن ياسين الجزولي، وقد تزعمت قبيلته لمتونة
الجهاد لهذه الدعوة في بلاد المغرب أولاً ثم الأندلس بعد ذلك، ينظر: ابن الأثير،
الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢٩١ - ٣١٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب،
٧/٤ - ١١؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٢٢ - ١٢٧.

(٣) سقطت مدينة طليطلة بيد النصارى سنة ٤٧٨ هـ/١٠٨٥ م، لمزيد من
التفاصيل ينظر: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ ص ٣٠٠ - ٣٠٢؛
الذهبي، دول الإسلام، ٥/٥ - ٦؛ المقرئ، نفع الطيب، ٤/٣٥٢.

(٤) التحلل الموشية، ص ٣٣.

الإسلام أعز ناصر ، وعلى غزو الشرك أقدر قادر ، وجب أن تستدعي ،
 لما أعضل الداء ، وتستغاث لما أحاط بالجزيرة من البلاء ، فقد كانت
 طوائف العدو المطيف بأبحاثها أهلكتهم الله ، عند إفراط تسلطها
 واعتدائها ، وشدة كلبها واستشرائها ، تلاطف بالاحتيال ، وتستنز
 بالأموال ، ويخرج لها عن كل ذخيرة ، وتسترضى بكل خطيرة ، ولم
 يزل دأبها التشط والعناد ، ودأبنا الإذعان والانقياد ، حتى نفذ الطارف
 والتلاد ، وأتى على الظاهر والباطن النفاذ ، وأيقنوا الآن بضعف المن ،
 وقويت أطماعهم في افتتاح المدن ، واضطرت في كل جهة نارهم ،
 ورويت من دماء المسلمين أسنتهم وشفارهم ،... ، ومن قبل هذا ما
 كنت خاطبتك ، أعزك الله ، بالنازلة في مدينة قورية ، أعادها الله
 للإسلام ، وأنها مؤذنة للجزيرة بالخلاء ، ومن فيها من المسلمين
 بالجلء ،...))^(١).

ويبدو أن يوسف بن تاشفين لم يستجب لهذه الدعوة إلا بعد
 سقوط طليطلة سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م ، إذ عبر بقواته إلى الجزيرة
 الخضراء Algeciras يوم الخميس منتصف ربيع الأول من سنة ٤٧٨هـ
 / ٣٠ حزيران ١٠٨٦م ، على رأس كتيبته الخضراء المؤلفة من اثني
 عشر ألف من جنوده^(٢) ، ثم سار صوب مدينة إشبيلية Sevilla^(٣)

(١) التحلل الموشية، ٣٤- ٣٥.

(٢) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٩٠؛ وذكر ابن خلكان أن عدد القوات
 التي عبرت معه عشرة آلاف مقاتل، ينظر: وفيات الأعيان، ٢٩/٥.

(٣) مدينة أندلسية بناها يوليوس قيصر تبعد عن قرطبة ثمانون ميلاً، ينظر:
 الحميري، الروض المعطار، ص ٦٠.٥٨؛ أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ١٧٤.١٧٥.

وبعث المعتمد بن عباد^(١) ولده عبد الله لاستقباله ، ورتب تقديم المؤن والاطعمة للجيش المرابطي على طول الطريق لإشبيلية واستعد لذلك استعداداً كبيراً ، الأمر الذي أسرّ يوسف بن تاشفين^(٢) ، ولما اقترب يوسف من المعتمد استقبله بحفاوة ، حيث قدم له الهدايا والتحف ، وفي اليوم التالي سار أمير المرابطين إلى إشبيلية وأقام هناك ثلاثة أيام^(٣).

وبعدها سارت القوات الإسلامية المتمثلة بقوات المرابطين وقوات أمراء الطوائف نحو بطليوس ، ولم تذهب مباشرة إلى طليطلة ، لأنهم كانوا يعلمون إذا فعلوا ذلك اشتد توغّلهم في ديار النصراري فيطول خطوط مواصلاتهم ويسهل على الفونسو السادس وقواته أن ينقضوا عليهم من الخلف ، فضلاً عن ذلك فإن وجود الجيش الإسلامي بالقرب من بطليوس يمكنه من الاحتماء داخل أسوارها في حالة الهزيمة ، كما كان في نية الجيش الإسلامي التقدم نحو مدينة قورية التي احتلها الفونسو السادس سابقاً^(٤).

وفيما يخص الفونسو السادس ملك قشتالة فقد تعمد المسير بقواته المشتركة إلى أراضي بطليوس حسب خطة عسكرية مدروسة

(١) حكم المعتمد بن عباد دولة إشبيلية من سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨م حتى دخول المرابطين إليها واعتقاله سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م، وكانت وفاته ٤٨٨هـ/١٠٩٥م، ينظر: ابن الأبار، الحلة السيرة، ٥٢/٢ - ٦٨؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٥٤/٢ - ١٦٢.

(٢) عنان، مواقف حاسمة، ص ٢٨٢.

(٣) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣١٠/٢.

(٤) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص ٣٥؛ محمود، قيام دولة المرابطين، ص ٢٧٤ - ٢٧٥؛ العليايوي، الحملات الصليبية، ص ٨٢.

تدل على مدى التحوط لنتائج هذه المعركة ، إذ تعمد الفونسو عدم لقاء المسلمين في أحواز طليطلة لأسباب ذكرها لوزرائه ، وذلك خشية الهزيمة مما يؤدي إلى تمكن الجيش الإسلامي في مدينة طليطلة ، لذلك فهو خطط للسير إلى بطليوس للتمكن من بلاد المسلمين في حالة هزيمتهم ، وعدم اللحاق به في حالة هزيمته^(١).

وبعد ذلك دارت رحى المعركة بين الجانين في سهل الزلاقة Sagrajas إلى الشمال الشرقي من مدينة بطليوس والقريب من مدينة قورية^(٢) ، واستمرت يوماً واحداً وهو الثاني عشر من رجب سنة ٤٧٩هـ/ ٢٣ تشرين الأول ١٠٨٦م^(٣) ، وانتهت بانهزام ساحق للجيش النصراني بقيادة الفونسو السادس إلى فر إلى تل بالقرب من مملكته برفقة خمسمائة فارس بعد أن قتل وأسر معظم جنوده^(٤). في حين أشار أشباخ إلى أن وجهة الفونسو في فرارة هو إلى مدينة قورية على بعد عشرين مرحلة من ميدان الموقعة^(٥) ، ونحن لا نستبعد ذلك بحكم قرب المسافة بين شمال بطليوس وقورية ، كما أن قورية كانت خلال ذلك تحت السيطرة النصرانية وبالتالي إتجأ إليها لحماية نفسه وأتباعه الفارين معه لخصانتها.

(١) الحميري، الروض المعطار، ص ٢٨٩.

(٢) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٠٦.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٤/١٣٠.

(٤) الحميري، الروض المعطار، ص ٢٩٠-٢٩٢.

(٥) تاريخ الأندلس، ١/٨٦؛ ينظر أيضاً: عنان، دولة الإسلام في الأندلس،

إلا أن الفونسو السادس لم يمكث طويلاً في مدينة قورية خوفاً من ملاحقة القوات الإسلامية له إذ سرعان ما فرّ إلى طليطلة ، وقد أشار الحميري إلى ذلك قائلاً: ((...)) ، ولما جاء الليل تسلل ابن فرذند وهو لا يلوي على شيء ، وأصحابه يتساقطون في الطريق واحداً بعد واحد من أثر جراحهم ، فلم يدخل طليطلة إلا في دون المائة^(١) ، وأعقب ذلك قيام القوات المرابطية مع قوات ابن الأفضس حاكم بطليوس إلى السيطرة على معظم أراضي البرتغال الحالية مما يلي نهر تاجة^(٢) ، وعليه دخلت قورية مرة أخرى تحت نفوذ المسلمين بعد بضع سنوات من سقوطها.

وفي العهد المرابطي(٤٨٤-٥٤١هـ/١٠٩١-١١٤٦م) تعرضت مدينة قورية لهجمات النصارى من أجل السيطرة عليها ، ففي سنة ٥٣٣هـ/١١٣٨م ، اتجه الفونسو ريمونديس السابع(السليطين) Alfonso Raimuotez (٥٢٠-٥٥٢هـ/١١٢٦-١١٥٧م) ملك قشتالة إلى غزو الأندلس ، فسار بقواته نحو مدن جيان Jaen^(٣) وبياسة Baeza^(٤) وأبدة^(٥) وأندوجر

(١) الروض المعطار، ص ٢٩١.

(٢) أشباخ، تاريخ الأندلس، ٨٩/١.

(٣) مدينة أندلسية تبعد عن قرطبة خمسين ميلاً، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٦.

(٤) مدينة أندلسية تعد من أعمال كورة جيان إذ تبعد عنها عشرون ميلاً، وهي ذات أسوار وأسواق ومتاجر، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٥؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٣.

(٥) وتعرف أيضاً باسم أبدة وهي مدينة أندلسية تعد من كورة جيان، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٢-٢٣.

Andujar^(١) ، وهو يعيث فيها تخريباً وقتلاً وسيياً ونهباً ، ولم يلتق النصارى من المرابطين مقاومة شديدة في البداية ، ولكن حدث أن فرقة من النصارى عبرت نهر الوادي الكبير Rio Guadalquivir لتتابع النهب والسبي ، ولكنها لم تستطع العود إلى اقتحام النهر لهطول الأمطار الغزيرة ، وفيضان الماء ، ففتك بها الجند المرابطون وأبادوها جميعاً أمام أعين الفونسو وجنده ، فارتد الأخير إلى مدينة طليطلة ، وعلى إثر تلك الحادثة حاول أن ينتقم وذلك بمحاصرة مدينة قورية ، إلا أن المسلمين دافعوا عنها بكل شجاعة ، ولم يتمكن من الدخول إليها ، مما ترك أثراً في نفسه^(٢).

ومن أجل السيطرة على مدينة قورية فقد تكررت هجمات مملكة قشتالة عليها ، وتشير الرواية النصرانية إلى أن الفونسو السابع حشد جيشاً كبيراً ، وسار بنفسه إليها في سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م وحاصرها لمدة شهرين حتى سقطت بيده وذلك بعد أن يئست حاميتها الإسلامية من تلقي أي نجدة وإمداد^(٣) ، وقيل إن الفونسو السابع تمكن بعد اقتحامه قورية من أسر عشرة آلاف من المسلمين أخذهم أسرى إلى طليطلة^(٤).
وذهبت بعض المراجع الحديثة إلى أن مدينة قورية استرجعت

(١) وهو حصن يبعد عن مدينة المرية مرحلة، وهو حصن على قل تراب أحمر، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٥٤٩.

(٢) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣/٥٠٤؛ أشباح، تاريخ الأندلس، ٢/١٩١.

(٣) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣/٥٠٦- ٥٠٧، ٥١٣.

(٤) أشباح، تاريخ الأندلس، ٢/١٩٢.

فيما بعد من قبل الموحيدين Almohades, Los^(١) ، ودخلت تحت نفوذهم ، وأصبحت معقلاً إسلامياً ونقطة دفاع مهمة ، إلا أنها لم تستمر طويلاً إذ سرعان ما تمكن نصارى قشتالة من السيطرة عليها في عهد ملكها الفونسو الثامن (٥٥٣-٦١١هـ/١١٥٨-١٢١٤م) وذلك سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م^(٢) ، إلا أن المصادر المتوفرة لم تسعفنا إلى ذلك ، ولما كانت مدينة قلمرية الواقعة إلى الشمال من قورية قد سقطت بيد النصارى منذ سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م^(٣) وجعلوها قاعدة لولاية البرتغال^(٤) ، ومنها أخذوا يشنون الغارات على مناطق المسلمين جنوباً ، كما أن مدينة شترين القريبة من قورية كانت قد سقطت بيد النصارى سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م^(٥) وأعقبها لشبونة Lisboa سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م واتخذها

(١) كانت بداية دولة الموحيدين حركة دينية ظهرت في بلاد المغرب تزعمها محمد بن عبد الله بن تومرت الملقب بالمهدي الذي ينتمي إلى قبيلة مصمودة البربرية، وسعى الموحدون إلى إنهاء حكم المرابطين في المغرب والأندلس، وفعلاً تمكنوا من ذلك إذ دخلوا عاصمتهم مراكش سنة ٥٤١ هـ/١١٤٦ م وأحكموا سيطرتهم عليها ثم عبروا إلى الأندلس، لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٢٠ وما بعدها؛ المراكشي، المعجب، ص ١٤٣- ١٤٩؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٧٢ وما بعدها.

(٢) ابن الأبار، الحلة السيرة، ٣٥٣:٣٥٢/٢؛ السامرائي، علاقات المرابطين، ص ٢٢٨.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٣٨/٣- ٢٣٩؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام،

١٨٤/٢؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٨٥/٢؛ السامرائي، الثغر الأدنى

الأندلسي، ص ٣٥- ٣٦.

(٤) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٥٢٣/٣.

(٥) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٦٢.

الملك البرتغالي عاصمة لمملكته^(١)، وعبثاً حاول المنصور الموحيدي (٥٨٠-٥٩٥ هـ/١١٨٤-١١٩٨م) استرجاع المدينتين، ففي حملته سنة ٥٩٢ هـ/١١٩٥ م التي استطاع فيها اختراق غرب الأندلس ثم التوجه إلى طليطلة^(٢) ثم طليطلة^(٣) إلا أن تلك الحملة الكبيرة لم تسفر عن نتائج مهمة على الأرض ولم تغير من الواقع شيئاً^(٤)، ما يعني أنها كانت حملة استعراضية أثبت خلالها قوته، ولم نلاحظ بعدها حملات عسكرية كبيرة للموحدين وصلت إلى نهر تاجة واكتفى الموحدون ببذل غاية جهدهم للحفاظ على مناطق جنوب بطليوس من غرب الأندلس.

وعلى هذا فإننا نرجح أن سقوط مدينة قورية النهائي بيد النصارى كان سنة ٥٣٦ هـ/١١٤١م وذلك في أواخر أيام المرابطين.

(١) الدرويش والعلياوي، دراسات في تاريخ المدن الأندلسية، سلسلة رقم (٣)، ص ٢١٣.

(٢) مدينة أندلسية تعد من أعمال طليطلة تقع على نهر تاجة، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٩١.

(٣) ينظر التفاصيل عن تلك الحملة: ابن عذري، البيان المغرب، قسم الموحيدين، ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

(٤) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢٢٠/٤.

مصادر ومراجع الكتاب

أولاً : المصادر الأولية

- ١ - ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م) - الحلة السُّبْرَاء، تحقيق حسين مؤنس، ط٢، مصر ١٩٨٥م.
- ٢ - التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٩٩٥ م
- ٣ - ابن الأثير، علي بن أبي الكرم بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) - الأندلس من الكامل في التاريخ، جمعه وحقق نصوصه جاسم ياسين الدرويش، ط١، دمشق، ٢٠١٥م
- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحميري الحسني (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م).
- ٤ - نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩م.
- الاصطخري، أبو إسحاق محمد بن إبراهيم الفارسي (ت منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي)
- ٥ - المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، مراجعة محمد شفيق غريال، القاهرة ١٩٦١م.
- ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م)
- ٦ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠م.
- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)
- ٧ - المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢م.
- ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ / ٩٦٥م)
- ٨ - الثقة في الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، حيدر آباد، ١٩٦٨م.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م)

- ٩ - جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م
- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت : حوالي ٧١٠هـ/١٣١٠م)
- ١٠ - الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط٢، بيروت، ١٩٨٠م.
- ابن حوقل ، أبو القاسم محمد النصيبي (ت ٣٦٧ هـ/ ٩٧٧ م)
- ٨ - صورة الأرض، ط٢ ، ليدن ١٩٢٨ م.
- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف (ت ٤٦٩ هـ/ ١٠٧٦ م)
- ٩ - المقتبس من أنباء أهل الأندلس، (للقبلة ١٨٠ - ٢٣٢ هـ/ ٧٩٦ - ٨٤٦ م) تحقيق محمود علي مكي، ط ١، الرياض، ٢٠٠٣ م.
- ١١ - المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للقبلة ٢٣٢ - ٢٦٧ هـ/ ٨٤٦ - ٨٨٠ م) تحقيق محمود علي مكي، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٣ م.
- ١٢ - المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للقبلة ٣٠٠ - ٣٣٠ هـ/ ٩١٢ - ٩٤١ م)، تحقيق ب. شالميتا بالتعاون مع كور نيطي و م. صبح، منشورات المعهد العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٩ م.
- ١٣ - المقتبس (للقبلة ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ/ ٨٨٨ - ٩١٢ م)، تحقيق إسماعيل العربي، ط١، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، ١٩٩٠ م.
- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني (ت ٧٧٦ هـ/ ١٣٧٤ م).
- ١٤ - أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام المسمى بتاريخ اسبانيا الإسلامية، تحقيق سيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣ م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥ م)
- ١٥ - تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،، تحقيق خليل شحادة، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨ م.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ/ ١٢٨٢ م).
- ١٦ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس ، لبنان ، دار

الثقافة، بيروت، ١٩٦٩م.

- ١٧ - الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٥٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م
- ١٨ - دول الإسلام، اعتنى بتصحيحه محمد طه البديوي وآخرون، ط٢، الهند، ١٩٤٥م.
- ١٩ - الرقيق القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت ٤٢٥هـ/ ١٠٣٣م) - تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق عبد الله العلي الزيدان، وعز الدين عمر موسى، ط ١، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م.
- ٢٠ - ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله (كان حيا سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م) - الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م.
- ٢١ - الذخيرة السنوية السنوية في تاريخ الدولة المرينية، الرباط، ١٩٧٢م.
- ٢٢ - الزبيدي، حمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م) - تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية، بيروت.
- ٢٣ - ابن سعيد، علي بن موسى (ت ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م أو ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) - كتاب الجغرافية، تحقيق إسماعيل العربي، المكتبة التجارية، بيروت، ١٩٧٠م.
- ٢٤ - المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ج ١، ج ٢، ١٩٥٥م.
- ٢٥ - الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب (ت ٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م) - مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.
- ٢٦ - شيخ الربوة، أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري (ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م) - نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٨م.
- ابن أبي صاحب الصلاة، عبد الملك (ت حوالي ٥٩٤هـ/ ١١٩٨م)

- ٢٧ - تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الشؤون الثقافية بغداد ١٩٧٩ م.
- الضبي، أبو جعفر أحمد بن عيسى (ت ٥٩٩ هـ/ ١٢٠٢ م)
- ٢٨ - بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧ م
- ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك (ت ٧٠٣ هـ/ ١٣٠٣ م)
- ٢٩ - الذليل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الخامس، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٦٥ م.
- ابن عذاري المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد (ت بعد ٧١٢ هـ/ ١٣١٢ م)
- ٣٠ - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة جس كولان وإ - ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥١ م؛ ج ٢، ج ٣، تحقيق ومراجعة جس كولان وإ - ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣ م، ج ٤، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٧ م، والجزء الخاص بالمؤرخين تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥ م.
- العذري، أحمد بن عمر بن أنس (ت ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥ م)
- ٣١ - نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، د.ت.
- ابن غالب، محمد بن أيوب بن غالب البلنسي (ت ٥٧١ هـ/ ١١٧٥ م)
- ٣٢ - قطعة من كتاب فرحة الأنفس عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة، تحقيق لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٥٦ م.
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢ هـ/ ١٣٣١ م)
- ٣٣ - تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠ م.
- ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف (ت ٤٠٣ هـ/ ١٠١١ م)
- ٣٤ - تاريخ علماء الأندلس، تحقيق رويحة عبد الرحمن السويفي، دار الطلعة العلمية، بيروت، ١٩٩٧ م.

- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م).
- ٣٥ - آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩م.
- القلقشندي، أحمد بن علي الفزاري (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)
- ٣٦ - صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م)
- ٣٧ - تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، بيروت، ١٩٥٧م.
- ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك التوزري (من علماء القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)
- ٣٨ - تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، نسان جديدان، تحقيق أحمد مختار العبادي، مطبعة الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١م.
- ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك التوزري (من علماء القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي)
- ٣٩ - تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، نسان جديدان، تحقيق أحمد مختار العبادي، مطبعة الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١م.
- مجهول، مؤلف (ت القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي).
- ٤٠ - أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، مجريط، ١٨٦٧م
- مؤلف مجهول (القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي)
- ٤١ - فتح الأندلس، تحقيق لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، ١٩٩٤م.
- مجهول، مؤلف، (من أهل القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي)
- ٤٢ - الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، ١٩٧٨م.
- مؤلف مجهول (كان حياً سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م)
- ٤٣ - مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوياية، الرباط، ٢٠٠٥م.
- مجهول، مؤلف (ت في حدود ٨٩٥هـ / ١٤٨٩م).
- ٤٤ - تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوياية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م، والنسخة الأخرى بتحقيق لويس مولينا، بعنوان ذكر بلاد

- الأندلس، مدريد، ١٩٨٣ م.
- ٤٥ - مؤلف مجهول (كان حياً سنة ٨٩٧ هـ / ١٤٩١ م)
-نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر، تحقيق محمد رضوان الندية، دار حسان، دمشق، ١٤٠٤ هـ.
- المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م)
٤٦ - المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥ م.
- المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البشاري (ت ٣٨٠ هـ / ٩٤٧م)
٤٧ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، ١٩٩١ م.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م)
٤٨ - مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٦٤ م.
- المقرئ، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت : ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م).
٤٩ - نوح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨ م.
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م)
٥٠ - تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط (إفريقية والمغرب - الأندلس - صقلية وأقريطش، ٢٧ - ٧١٩ هـ / ٦٤٧ - ١٣١٩ م)، من كتاب نهاية الأرب في فنون العرب، تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، د، ت.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م)
٥١ - الأندلس من معجم البلدان، حققه وعلق عليه جاسم ياسين الدرويش، ط١، البصرة ٢٠١٢ م.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م أو بعد ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م)
٥٢ - البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨ م.

ثانياً : المراجع الحديثة

- أرسلان، شكيب
- ١ - تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، مطبعة عيسى الحلبي وشركاؤه، مصر، ١٩٣٣ م.
- ٢ - الحلل السنديسية في الأخبار والآثار الأندلسية، المطبعة الرحمانية، مصر، ١٩٣٦ م.
- أشباخ، يوسف
- ٣ - تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٠ م.
- جمعة، علي
- ٤ - المكايل والموازن الشرعية، القدس للإعلان والنشر، ط٢، القاهرة ٢٠٠١ م.
- الحججي، عبد الرحمن علي.
- ٤ - التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (٩٢ - ٨٩٧هـ / ٧١٠ - ١٤٩١م) ط١، بغداد، ١٩٧٦ م
- حتاملة، محمد عبده
- ٥ - أيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، عمان، ١٩٩٦ م.
- حسين، حمدي عبد المنعم محمد
- ٦ - ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الأموية (١٣٨ - ٣١٦هـ / ٧٥٦ - ٩٢٨ م)، الإسكندرية، ١٠٠٣ م.
- الخلف، سالم عبد الله
- ٧ - نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ط١، المدينة المنورة، ٢٠٠٣ م.
- ٨ - دائرة المعارف الإسلامية ترجمة أحمد الشنشناوي وآخرون، مادة (الرباط).
- الدرويش، جاسم ياسين، والعيادي، حسين جبار
- ٩ - دراسات في تاريخ المدن الأندلسية، سلسلة رقم (٣)، دار تموز، دمشق ٢٠١٨ م.
- دندش، عصمت عبد اللطيف
- ١٠ - الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨ م.
- دوزي، رينهرت

- ١١ - ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، ترجمة كامل كيلاني، ط١، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ١٩٣٣ م.
- سالم، سحر عبد العزيز
- ١٢ - تاريخ بطليوس الإسلامية، أو غرب الأندلس في العصر الإسلامي، الإسكندرية، ١٩٩١ م.
- سالم، السيد عبد العزيز
- ١٣ - تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار المعارف، لبنان، ١٩٦٢ م.
- السامرائي، خليل إبراهيم.
- ١٤ - الثغر الأعلى الأندلسي دراسة في أحواله السياسية ٩٥ - ٣١٦هـ / ٧١٣ - ٩٢٨م، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٧٦ م.
- ١٥ - علاقات المرابطين بالممالك الأيبانية بالأندلس وبالدول الإسلامية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٦ م
- السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون.
- ١٦ - تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٦ م.
- تاريخ المغرب العربي، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٨ م.
- السامرائي، عبد الحميد حسين
- ١٧ - الثغر الأدنى الأندلسي، دراسة في أحواله السياسية خلال فترة الولاية والإمارة (٩٥ - ٣١٦هـ / ٧١٤ - ٩٢٨ م) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٧ م.
- السلاوي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد الناصري
- ١٨ - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء
- طه، عبد الواحد ذو النون
- ١٩ - دراسات أندلسية، ط١، الموصل، ١٩٨٦ م.
- ٢٠ - الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، ١٩٨٢ م.

- عاشور، سعيد عبد الفتاح
- ٢١ - أوربا في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو مصرية، ط ٩، القاهرة ١٩٨٣م.
- العبادي، أحمد مختار
- ٢٢ - في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة، بيروت ١٩٧٤.
- العتبي والعامري، محمد سعيد رضا علو، ومحمد بشير حسن راضي
- ٢٣ - تاريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامي، دار الجامعية للطباعة، بغداد، ٢٠٠٢ م.
- العلياوي، حسين جبار
- ٢٤ - البشكنس ودوره السياسي والعسكري في الأندلس حتى سنة ٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ م، ط ١، دار أمل الجديدة، دمشق، ٢٠١٧ م.
- ٢٥ - الحملات الصليبية على الأندلس حتى نهاية دولة المرابطين (٩٦-٥٤١ هـ / ٧٤١-١١٤٦ م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠٠٥ م.
- عنان، محمد عبد الله
- ٢٦ - الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال دراسة تاريخية أثرية، ط ٢، القاهرة، ١٩٩٧ م.
- ٢٧ - دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج ١، ٢، ٥ ط الرابعة، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م، ج ٣، ٤، ط ٢، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م.
- ٢٨ - مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، ط ٤، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤ م.
- كريباج، جورج
- ٢٩ - عناصر المجتمع الأندلسي عند الفتح العربي، مجلة آفاق عربية، العدد (١) السنة التاسعة، بغداد، ١٩٨٤ م.
- لورد، دروثي
- ٣٠ - اسبانيا شعبها وأرضها، ترجمة طارق فودة، القاهرة، ١٩٦٥ م.
- محمود، حسن أحمد
- ٣١ - قيام دولة المرابطين، القاهرة، ١٩٥٧ م.
- مكّي، محمود علي

- ٣٢- البرتغال الإسلامية، مجلة العربي، العدد ٢١٩، لسنة ١٩٧٧ م.
- مؤنس، حسين
- ٣٣- أطلس التاريخ الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤ م.
- ٣٤- فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام
الدولة الأموية ٩٢- ١٣٨ هـ / ٧١٠- ٧٥٥ م، ط١، القاهرة، ١٩٥٩ م.
- المياح، عبد الرحمن رشك
- ٣٥- أوربا في كتب البلدانين العرب المسلمين، دراسة في الأحوال الطبيعية
والبشرية والاقتصادية، ق ٣- ٨ هـ / ٩- ١٤ م، بغداد، ٢٠٠٨ م.
هنتس، فالتر
- ٣٦- المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادتها في النظام المتري، ترجمه عن
الألمانية كامل العسلي، عمان ١٩٧٠ م.

المحتويات

- المقدمة
- مدينة طلياطة الأندلسية (٩٤ - ٦٤٦ هـ / ٧١٢ - ١٢٤٨ م)
- المبحث الأول : الجغرافية التاريخية لمدينة طلياطة
- المبحث الثاني : التاريخ السياسي لمدينة طلياطة
- المبحث الثالث : اسهاماتها الفكرية
- مدينة قصر أبي دانس ٩٣ - ٦١٤ هـ / ٧١١ - ١٢١٧ م
- المبحث الأول : الجغرافية التاريخية لمدينة قصر أبي دانس
- المبحث الثاني : التاريخ السياسي لمدينة قصر أبي دانس
- المبحث الثالث : سقوط قصر أبي دانس
- ١ - الاحتلال البرتغالي الأول سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م
- ٢ - السقوط النهائي بيد البرتغاليين سنة ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م
- مدينة قلمرية الأندلسية (٩٥ - ٤٥٦ هـ / ٧١٣ - ١٠٦٣ م)
- المبحث الأول : الجغرافية التاريخية لمدينة قلمرية
- المبحث الثاني : التاريخ السياسي لمدينة قلمرية
- المبحث الثالث : سقوط مدينة قلمرية
- مدينة قورية الأندلسية (٩٥ - ٥٣٦ هـ / ٧١٣ - ١١٤١ م)
- المبحث الأول : الجغرافية التاريخية لمدينة قورية
- المبحث الثاني : التاريخ السياسي لمدينة قورية
- المبحث الثالث : سقوط مدينة قورية
- قائمة مصادر ومراجع الكتاب

